فيتنام : رمز البطولة في القرن العشرين

في العدد الاخير من مجلة *Scientific American* نشر عالمان أميركيان مقالاً مبنياً على دراسة طويلة قاما بها في فييتنام ، أوردا فيه الحقائق التاليـــة :

١ ـ ألقت الطائرات الأميركية قنابل على الهند الصينية تعادل جميع القنابل التي ألقيت في الحرب العالمية الثانية في جميع ميادين القتال. وتقدر القوة الانفجارية لهذه القنابل بقوة ٤٥٠ قنبلة نووية من النوع الذي ألقي على هيروشيما .

٢ ـ أصبحت أرض الهند الصينية (وبخاصة أرض جنوبي فييتنام) ممزقة بحيث لم يعد معظمها صالحاً للزراعة . وتقدر عدد الحفر العميقة التي أحدثتها القنابل الأميركية بـ ٢٢مليون حفرة، ويبلغ عمق الحفرة ١٥ قدماً ، ويتراوح عرضها بين ٣٠ و ٤٥ قدماً .

٣ ـ أصبحت معظم المناطق الخاصة بالزراعة وغرس الأشجار في فييتنام أرضاً بواراً من جراء المواد الكيماوية السامة التي ألقيت عليها ، وبفعل الآلات التي استخدمها الأميركيون لقطع الأشجار وإبادة الغابات .

٤ ـ هناك في طول البلاد وعرضها مئات الآلاف من القنابل التي لم تنفجر ،مما يجعل الحراثة والتنقل وأعمال البناء محفوفة بالاخطار طوال سنوات عديدة مقبلة.

٥ ـ أجليت بالقوة وبالغارات الجوية المستمرة ملايين من سكان الريف بحيث لم يعد هناك مجتمع ريفي (زراعي) إلا في بقاع محدودة من فييتنام

غسان كنفاني :
بين الشجر والشمس

كان يعنى بموته كأنه طفل تبدأ حياته او اب تكتمل حياته . يتحرك ، يعمل ، فيما يرافق الموت . يفكر ، يكتب فيما يتحاور معه . وصار له جسراً ينتقل عليه بين ما يقيّده وما يحرره ، بين وردة التعب ونهر الحركة .

موت غسان كنفاني موت مبدع آخى بين الرؤيا والفعل . انه شهادة جيلنا ورمزه . افتتح شرف الكتابة ومجدها . ومن المستحيل ان يكتب ، من بعد ، عن الموت ـ الحياة ـ في ـ الثورة ، كما كان يكتب من قبل.

لذلك يوضح موته ما كان غامضاً فينا . يصير فينا قوة ابتداء وتكوين ، ونعرف به كيف نسلك ونفكر . يمنحنا ، الى جانب العلو، الطريق والضوء.

لذلك لم نعرف في موته كيف نفصله عن تراب الوطن. كيف نقول : هذا جسده وهذا جسد الوطن (كان يعشق أرضه ولا يعرف أن يميّز بين جسده وجسدها) ، ورأيناه يدخل في محيط آخر كمن يدخل في الرعد او النور ، ويترك رماده حول بيته ظلا بين الشجر والشمس .

ادونيس

الجنوبية . وقد امتلأت المدن باللاجئين العراة وبالأطفال الأيتام وبالفتيات اللواتي يتعاطين الدعارة في سبيل العيش ، وبمشوهي الحرب الذين لم يعد الجيش في حاجة اليهم .

أما الآن فتقوم الولايات المتحدة بضرب شمالي فييتنام، لا لتهديم بنائها الاقتصادي وحسب، بل للقضاء كذلك على إمكاناتها الزراعية والصناعية والانسانية ، في مناطق واسعة من الدلتا حيث يسكن أكثر من خمسة عشر مليوناً من البشر . ويقول الصحفي الفرنسي جان تورافال، الموجود حالياً في فيتنام الشمالية ، بناء على مشاهداته الخاصة ، إن الطائرات الأميركية قد بدأت تضرب السدود في الدلتا ، التي يقدر طولها بمئات الأميال والتي بنيت خلال مئات من السنين ، مما يهدد بفيضانات هائلة ، قد تؤدي الى مجاعة الملايين ، وتحويل أخصب مناطق فييتنام الشمالية الى أرض بوار .

*

لقد مزقت أرض فييتنام وفتت مجتمعها ، ومع ذلك يقاتل الشعب قتال الأبطال ، دون تردد ولا هوادة . فمن أجل من يدفع الشعب الفييتنامي البطل هذا الثمن الضخم ، ولماذا ؟ ليس هناك الا جواب واحد: ان الشعب الفييتنامي يحارب من أجل الانسانية جمعاء ، لا من أجل بلاده وحدها. إن أبناءه يموتون من أجل الانتصار على عدو الانسانية . ولذلك فان فشلهم يعني بقاء العالم تحت نير الأمبريالية الرأسمالية وحضارتها المتخلفة ، أما انتصارهم فهو انتصار الإنسان .

هشام شرابي

يوسف غصوب

اما ان يخطو الرائد بعيداً عن جيله مقتطعاً للخيال أرضاً جديدة ، واما أن يستنفد لغة جيله ويدفع بها الى أقاصيها بحيث يتحتم عليها ان تكون بداية الجديد . من هذا النوع الثاني كانت ريادة يوسف غصوب. لم يكن من المتطرفين ، لذا جاء وذهب بلا ضجيج .

هذا الرومنطيقي عرف أيضاً أن يدير عينيه نحو الداخل ، يدجن المسافات ، ويبعث في امتدادها ما سمحت به لغة زمنه من ارتعاشات الكشوف الداخلية .

كان من أولئك المسافرين الحقيقيين الذين عرفوا المسافة الداخلية فظلوا يبحثون عن امتداداتها الخارجية . ثم سافر سفره الاخير ، ولنا بعد عنده كلمة لم تقل. احتضنها في رحيله كمن يسحب بمنتهى المرارة اعترافه بشرعية القراءة ، محتفظاً لما وراء الستار بالومضة الاخيرة .

* يوسف غصوب (١٨٩٣-١٩٧٢).
* له « القفص المهجور » (١٩٢٨) ، «العوسجة الملتهبة» (١٩٣٦) ، «قارورة الطيب» (١٩٤٧) ، «الابواب المغلقة» (١٩٦٤) .وله ترجمات عديدة بينها «الامير الصغير» لسانت أوكزوبري، «صادق أو القدر» لفولتير ، « بشارة مريم » لكلوديل ، « بؤرة الافاعي » لمورياك ، «أنتيغونا» لآنوي.

قضايا راهنة

I - تأميم النفط في العراق

لا يكتسب تأميم النفط في العراق أهميته إلا من دلالته ، من كونه بداية لمحاربة المصالح الاستعمارية ، بشكل مباشر ، في العراق ، أي من كونه بداية لسيطرة الشعب العراقي على ثرواته المادية ، بشكل مباشر . فهل ينجح الشعب في تحقيق هذه السيطرة ؟ تلك هي المسألة . دون ذلك ستظل الثورة كرة ألفاظ تتدحرج وان يعلق بها غير الغبار وما يشبه الغبار . وسيبقى القطر العراقي في منأى عن التحويل الاشتراكي ، سجين العلاقات البدوية الاقطاعية التي تحكمه ، يرزح تحت جميع أنواع التخلّف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية . وبكلمة : ان مهمة الشعب العراقي هي أن يوجه ثورته للبدء بالثورة .

II - قانون الحزبية في ليبيا

نظرياً ، يقضي قانون الحزبية الذي سنّته ليبيا بمنع التفكير ؛ وعملياً ، بإعدام من يخالفه ويفكر . هذا القانون تنويع ليبي للظلام السلطوي الذي يتم ابتكاره وتصنيعه للقضاء على

اللعبي ، المسافر الفضائي

أنا التي دندنت حول القمر ، في أبولو ١٦ حين انتشرت الأجنحة الكهربائية على شاشة التلفزيون ، ورأيت عبداللطيف اللعبي يحل محل رواد الفضاء ويبعث إلي إشارة :

أنا : كشف ؟
هو : ـ كلا ، السجن.
ـ قصيدة ؟
ـ كلا ، التعذيب .
ـ أهذه النهاية ؟
ـ كلا ، انه الفجر .

وعبرت في حديقة الحيوانات أسأل النسور والنمور وأسماك القرش . كانت تأكل ، فاستأنفت السير في قطاري الفضائي :

وفي سماء فارغة
في مسافات يصعب اجتيازها
كالمسافات بين ذاكرة واخرى ،
رأيت
عبد اللطيف اللعبي في السجن
والعلم الأميركي ، المتصلب كحبل المشنقة ،
على القمر ...

ايديل عدنان

أنظر مقالاً لعبد اللطيف اللعبي في العدد الاخير من مجلة « الازمنة الحديثة » *les Temps Modernes No. 309, Avril 1972* حول اعتقاله وسجنه .

كل نور يحاول أن ينبثق في الحياة العربية . انه يؤكد من جديد على أن الانسان العربي ما يزال يواجه أوضاعاً لا تسمح له حتى بأن يكون في مستوى الانسان ، وعلى أن كفاحه الأول هو أن يرتفع الى هذا المستوى : أن يوجد ، وأن يكون إنساناً .

ولحظة يحاول الانسان في العالم المتقدم أن يفجّر طاقاته الى حدها الأقصى ، يأتي التنويع الليبي ليقلّص طاقات الإنسان العربي الى حدها الأدنى : تابعاً ملتصقاً بالسلطة . بل يأتي لكي يجرده من أخص خصائص الإنسان : الفكر ، وحرية الافصاح عن الفكر .

لكن الانسان الذي يحال بينه وبين القدرة على التفكير ، أي بينه وبين القدرة على العمل ، كيف يمكنه أن يتحرر ، أو يجابه قوى العدوان على ارضه ومصيره ؟

إن «الثورة» العربية ، في ليبيا كذلك ، تقتل الثورة العربية .

III - « ثورة ٩ يونيو »

« كفّار ظفار ، عار الأمة العربية » ، هذه هي التسمية التي تطلقها أجهزة الاعلام المضاد للثورة في منطقة الخليج العربي ، على ثوار «الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي » ، التي احتفلت الشهر الماضي ، بذكراها السابعة . وتكشف هذه التسمية عن أمرين متلازمين : جذرية الثورة ، والرعب من الخطر الذي يتمثل في هذه الجذرية .

كرة مضيئة
يخترقها جرح عميق

لا يبقى من جسد المرأة المتجسد في حجر الفريد بصبوص[1] غير انحناءات هذا الجسد ، استداراته ، تفتحاته وأسراره المجهولة فهو ليس جسد المرأة ، بل جسد الرغبة بها . انه حجر الجنس يتحول أمام العين الى لغة توقظ عشق الجسد لذاته وتتحدث عن هذا الشوق الملتهب في المسام .

في اعماله السابقة ، كان هذا الجنس منغلقاً على نفسه ، عالماً قائماً بذاته ، مندهشاً مأخوذاً بأسراره ملتصقاً بوحدته حتى الاحتراق . كان جنساً مقدساً ، يحمي نفسه من الخروج لئلا يخطىء ويسقط . انه جنس شرقي يأخذ جسد المرأة لا المرأة لغة وشكلاً للتعبير عن نفسه ، فهو وجود ثالث

١) غاليري كونتاكت ، معرض الفريد بصبوص (٢٠ حزيران ١٩٧٢).

بين المرأة والرجل يحضن الاثنين معاً يحققهما وينفيهما معاً، ويبقى حراً لا تمسك اطرافه، يغزو الجسد فيسكره ويغربه حتى الغيبوبة أو الجنون.
هكذا كان رخام الفريد بصبوص، جسداً يتخمّر بتحديقه في نفسه وبإصغائه لاحلامه وشهقاته.
إنه «الآن» ينشطر الى اثنين كعلامة أولى للخروج من الدوران في هذا النفق الناري. صار الحجر الواحد اثنين: حواراً بين الأنا والأنا، بين الفنان والعالم، بين الواقع والحلم. لكنه حوار غامض، مغلّف بحجاب سميك من الصمت، انه تهيئة أولى وشبه قبول بالبوح وبالاستسلام للآخر.
الرخام هنا كروي مضيء يخترقه جرح ضيّق، وينفصل عنه جزء يأخذ كذلك شكل كرة يرافقه بعيداً عنه قليلاً في الدوران أو الحوار.
نضج الرخام أثقله النضج فانشطر.

سمير الصايغ

بدأت ثورة ٩ يونيو، في صباح ذلك اليوم بالذات، سنة ١٩٦٥، بتنفيذ أول أعمالها: تدمير المعسكر البريطاني في صلالة عاصمة ظفار. وكان هذا العمل بداية الحرب الثورية في الخليج العربي وبداية التحويل الثوري لشعب الخليج، معاً.

فقد وحدت «ثورة ٩ يونيو»، منذ انطلاقها بين العمل والنظر، بين تحرير الشعب من السيطرة الاستعمارية وتحريره من التخلّف الموروث، بتعليم أبنائه وتعبئته سياسياً، بين الثورة بالسلاح والثورة بالفكر، بين تحطيم البنى الامبريالية وتحطيم البنى القبلية.

فهناك وحدة في مستوى القاعدة، بين النظرية والممارسة، بين الطليعة الثورية والشعب. وهذا ما جعل الثورة المسلحة تتحول طبيعياً الى ثورة اجتماعية. فقد منعت الثورة، تمثيلاً لا حصراً، تعدد الزوجات وألغت المهر وجعلت الطلاق حقاً للمرأة أيضاً، وقضت على القبلية والولاء القبلي والسلطة القبلية هذا عدا أن نصف المقاتلين الثوار هم من النساء. واذا كان وضع المرأة في المجتمع هو الذي يعكس مدى تحرره، كما يقول انجيلز، أدركنا الدور الأساسي الذي تقوم به في هذا المجال «ثورة ٩ يونيو».

إن «ثورة ٩ يونيو»، بما تحققه وبما تطمح اليه، بصلابتها وممارستها، ليست أفقاً ثورياً أصيلاً لمنطقة الخليج وحدها، وإنما هي كذلك أفق ثوري أصيل للأرض العربية بكاملها.

IV - ابراهيم زاير

« موت » ابراهيم زاير * ، سواء سمّي «انتحاراً» أو سمّي « استشهاداً » ، وسواء أضفيت عليه صفة «الشجاعة» أو صفة «الجبانة» ، انما هو ضوء آخر يكشف عن الضياع العربي : لسنا جميعاً مواطنين ، لكننا جميعاً مسؤولون - تلك هي المفارقة المباشرة في هذا الضياع . هو ، حاكماً او تابعاً ، مواطن - بل مواطن من الدرجة الأولى . أنت ، معارضاً أو ناقداً ، مواطن من الدرجة الثانية - بل لست مواطناً . ومع ذلك ، فأنت الذي تموت ، في سبيل الوطن ، قبله وأنت الذي تتعذب وتجوع ، قبله . وغالباً ما يدفعك هو الى الجوع أو الموت من أجل وطن يحرمك من حقك الطبيعي فيه بالحياة والخبز والشعر . إنه يحول الوطن الى زريبة : أنت «موجود» ما دمت فيها ، و«معدوم» ان كنت خارجها . هكذا يشعرك أنك تحيا وتموت في زريبة من أجل زريبة . ولا يحديك أي شيء آخر ، لتدفع هذا الشعور أو لتقضي عليه - (طبعاً ، غير الموت) . حين يحاصرك هذا الواقع قد تهرب فتلجأ الى ما يشعرك أنك تتجاوزه وأنت فيه : الفن ، الجنس ، اللعب (اللهو ، اللامبالاة ... الخ) . أما ان كنت معنياً حتى العظم بتغيير الواقع ، أي باستئصال الزرائبية ، فقد تلجأ اما الى التكيف الموقت (التكتيك) وحينئذ تكون ، بشكل أو آخر ، جزءاً من

---

١) اقرأ آخر ما كتبه : «وردة الضحايا» ، ص ٨٠ من هذا العدد .

كيف ينتحر المقاتل ؟

« ... وفاة ابراهيم زاير ، صديقنا ، روعتني ... عرفته في الأعوام السبعة الماضية ، ومع بداية انهماكه بالرسم والكتابة ، وبأسئلة الحياة الاساسية . أمس كنا نقف أمام باب مسكنك متسائلين : ترى هل هو في البيت ؟ أمس كنت معه في شارع الحمرا ، ثم عند مني السعودي وسمير الصايغ . أمس كنت في غرفته - انطرح على الفراش وطلب مني أن اقرأ له قصيدة كان قد كتبها « لانني أجيد الإلقاء » ، هكذا قال . هذه بعض صور الماضي القريب ، أما الماضي الاسبق ، في سنوات بغداد ...

لا تفيد هذه الكتابة . أريد أن أكتب عنه شيئاً مطولاً ، فلئن كان قد رحل جسداً ، فهو سيبقى تأريخاً لشاب عراقي من جيل الستينيات (تكون ذهناً وشخصية في تلك الاعوام) ، ذلك الجيل الصعب . ومن هنا تأتي القيمة الاجتماعية لهذا التأريخ : ماذا كان في الواقع ؟ ولماذا كان ما كانه ؟ ولماذا رحل الرجل الذي صنع هذا التاريخ بأعصابه ؟

هذا «التقييم» يفسر موقفي التالي : أنا أتألم لانني فقدته ، ولكنني أرفض رفضاً فاطعاً قبول قراره بالاقدام على الانتحار ، لانه كان منتمياً . وجوهر الانتماء هذا هو - وأعبّر عنه بكلمات عادية مستهلكة -

السعي وراء حيـــاة أفضل . وعملية اختيار الانتحار الفردي لا تتفق مع انتمائه . ثم ان للمقاتل اذا اختـــار ان ينهي حياته ، لانه تعب من كل شيء، فلا بأس ان ينهيها في ساحـــة القتال ، وإلا كان قراره ذاتياً بحتاً دون اي اعتبار لانتمائه . أي أنه يصبح ضحية لتناقضاته. لقد ذهب ابراهيم ضحية عجزه عن فهم تعقيدات الوضع في المنطقة العربية . ربما أنا قاس في حكمي ، ولكنني مع كل هذا أعتبره انساناً نبيلا جيداً وشجاعاً لانه حاول ...

حاول ان يفهم ويساهم في التغيير ، وازاحة كل قذارات الاستعمار ومخلفاته ، سواء في وطنه أم في المنطقة العربية أم في العالم . لكنه لم يستطع أن يحقق الوضـــوح في رؤياه . لم يستطع ان يكون علميـــاً في تفكيره . لقد بقيت تعاملاته مع الواقع على مستوى الانفعال ونفاد الصبر . والسياسة ، هذا التعبير عن صراع المصالـــح الطبقية ، والتي اختارها مجـالاً أساسياً لنشاطه ، تتطلب المنطق والحسابات والمرونة . وقد كان ابراهيم بعيداً عن كل هذا . كان اذن في الموقع الخاطىء ، هذا فيما عدا عوامل مركبـــة معقدة أخرى لا مجال لذكرها هنا أدت به الى ان ينهي حياته».

انور الغساني

(لايبزك ـ المانيا الديموقراطية من رسالة خاصة الى أدونيس)

الزريبة ؛ وإما الى **الثورة** ـ تشهر سلاحك على الزريبة ، لكنك ستموت (لأن الصراع والسلاح غير متكافئين) أو تشهر سلاحك على نفسك . وفي الحالة الثانية تفعل كأنك تفضل الاخلاص للثورة على التكيّف بما يؤدي الى نقيضها. تتحول المشكلة : لا تعود مسألة الموت أو البقاء ، بل تعود مسألة اخلاص للفكرة ، وانسجام مع الذات. ولا يعود موتك إلا **صيغة جديدة للحياة** في الفكرة التي هي ، هنا ، الثورة . يصبح الموت نفياً أقصى للزرائبية ، أي أنه يصبح الشكـــل الوحيد الذي يخرجك من اغترابك ، ويردك الى نفســـك .

لكن ، في مرحلة كهذه المرحلة ، حيث يكاد العربي أن يفقد «بفضل» السلطة معنى الحياة ، يكاد كذلك أن يجهل معنى الموت . لا الحياة تجدي ولا الموت يجدي : هـذا هو الرعب الذي يسيطر . وفي هذا المناخ ، نكتشف ، بل نتذوق طعم العبث في موت ابراهيم زاير ، والموت الذي يشبه موته . هذا الموت ، من هذه الشرفة ، هـــو العبث الذي يقدر الإنسان به وحده أن يرد على العبث الذي يحاصره ـ عبث الحيـــاة والسياسة والسلطة وكل شيء . لكنه في الوقت ذاتـــه العلامة التي تعلن البداية : **تعلن الحياة ابتداء ، والفكر ابتداء** . ان موت ابراهيم زاير هـــو ، إذن ، بل قبل أن يكون موته ، موت لكل زائف في الواقع العربي الراهن: الثورة ، السلطة ، العمل ، الفكر ...

V – حول الانظمة الراهنة والثورة

I

لم يكن تأثير الاستعمار مقتصراً على امتلاك الطاقة المادية للإنسان العربي، وانما تغلغل الى طاقته الثقافية – الانسانية. وكما أنه قلّص قدرته على أن يكون سيد مصيره وسيد الطبيعة، فقد قلّص البعد الانساني – الاجتماعي، عنده، فجعله ينظر الى العالم والى المشكلات التي يجابهها، من شرفة الفردية أو العائلية أو الطائفية، وفي مستواها. هكذا، فقد حس الانتماء الى كل، سواء كان هذا الكل مجتمعاً أو مدينة أو قرية. وهذه الحالة أنتجت ظاهرتين: اللامبالاة على مستوى الفرد، والتفتت الفوضوي، على مستوى الجماعة. والفرد في الحالتين هو الضحية – أما السعيد، في الحالتين، فهو المسيطر على السلطة، والمقرب اليها.

وهذا كله هو ما تعمقه وتطيل أمده الانظمة الراهنة، وهي بذلك تشارك، عن وعي أو غير وعي، في الابقاء على الاوضاع التي تشكل بطبيعتها مناخاً لسيطرة الاستعمار والامبريالية.

II

تتمثل ظاهرتا اللامبالاة والتفتت الفوضوي في جميع نشاطات الإنسان العربي: سياسة، وثقافة، واجتماعاً. وتنعكس ظاهرة التفتت، بخاصة، حتى في التنظيمات الثورية والحزبية. وليس للتفتت في بعضها أي مسوغ ايديولوجي، ذلك أن بعضها يعلن الفكرة ذاتها، باللغة ذاتها والمصطلحات ذاتها، والمعجم الثوري ذاته. أما ظاهرة اللامبالاة فتتجلى في أبناء الشعب، الآخرين، الذين ينهمكون بشؤون حياتهم، خارج كل تنظيم.

III

ان ظاهرة انعدام الحرية، حرية التفكير والتعبير، بشكل خاص، في معظم الدول العربية، وعلى الأخص الدول التي ترفع الشعار التقدمي، هي

الوجه الطبيعي الآخر لظاهرتي اللامبالاة والتفتت . فحيث يغيب الإنسان تغيب الحرية . وليس القانون الليبي الذي يقضي بإعدام كل من يفكر ، خارج «عقل» الدولة ، الا ذروة لهذا الغياب . ان اصرار الأنظمة العربية على تغييب الانسان ليس ، في النتيجة ، إلا اصراراً على استسلامها للقوى الامبريالية والاستعمارية.

IV

في هذا الغياب ، ومنذ قيام اسرائيل « تستعد » الأنظمة العربية للحرب ، أو «تدخل» في حرب فرضها العدو :هذا أقصى ما تفعله . ولا تفريق ، في ذلك ، بين الأنظمة التي بادت والأنظمة التي قامت . وسيزداد الأمر سوءاً ما دامت الأنظمة تقيم سلطتها على تغييب الانسان . ذلك أنها لن تكون أكثر من آلة خارجية تملك السيطرة على المال ومقاعد الحكم ، لكنها لا تستند في ملكها هذا ، على ارادة بشرية حرة . لذلك يستحيل أن «تحارب» ، واذا «حاربت» يستحيل ان تنتصر . فهذه الأنظمة الراهنة تكاد أن تكون هيكلاً بلا روح ، وحكماً بلا شعب .

V

ان جميع الممارسات التي قامت وتقوم بها الأنظمة الراهنة ، أكدت وتؤكد أن تحرير فلسطين ما يزال مسألة كلام ، لا مسألة اختيار مصيري . ولهذا فإن كل شيء يؤكد أن هذه الأنظمة تستسلم لارادة اسرائيل ، وان القضية التي تشغلها هي «فنّ» الاخراج «الثوري» لهذا الاستسلام .

VI

لا يمكن أن تظهر أية حركة ثورية ، وأن تتطور تطوراً عميقاً في أي مجتمع ، الا اذا سبقها كفاح شامل على الصعيد الايديولوجي ـ الا اذا سبقتها ، بتعبير آخر ، ثورة ايديولوجية . ان الثقافة السائدة اليوم هي ، جوهرياً ، ـ ولا عبرة بالالفاظ والشعارات ـ الثقافة نفسها التي كانت سائدة قبل الاستقلال ، أي الثقافة التي كانت سائدة في عصور التخلف . ولقد ازدادت تخلفاً في مجالات عدة.

ان الثقافة الثورية الحقيقية لا تجد لها الآن أي مكان حر ، في أغلبية البلدان العربية «الثورية» .

VII

ان تعاون القوى الثورية مع الأنظمة العربية الراهنة ، يشارك في ترسيخ اللامبالاة والفوضى – أي الخضوع والقبول بالطغيان . هذا التعاون يجعل القوى الثورية والانظمة كتلة واحدة في نظر الشعب . وبما أن الشعب يكره ، في صميمه ، السلطة كرهاً تاريخياً وغريزياً ، فانه يكره كل حليف لها . وربما نستطيع ان نجد هنا السبب الحقيقي لانحسار التعاطف الشعبي مع قوى الثورة . فالشعب ضد التضخم غير الفعال ؛ ضد الحجم الخارجي الذي ليس له حجم داخلي . وهذا ما أكدته له التجربة مع «تضخم» السلطة ، خارجياً و«فراغها» داخلياً . وهكذا فان الشعب ليس ضد محاربة اسرائيل ، او ضد المقاومة ، مما يشيع على ألسنة كثيرين وفي أوساط كثيرة ، وانما هو ضد اللافعالية ، ضد «المظهر» الذي يبشّر بالعمل ، لكن الذي تؤكد التجربة انه بلا «فعل» . ومن هنا تصبح هذه القوى في نظر الشعب جزءاً من الانظمة والسلطة ، فيموت في نفسه ما كان «ينتظره» منها ، ويهملها باحثاً في صمته وعذابه ، عن أمل آخر .

ولهذا فان الكفاح ضد السلطة انما هو عنصر مكون من عناصر الثورة على الامبريالية ، ومن عناصر تحرر الانسان العربي تحرراً داخلياً كاملا . بل انه عنصر من عناصر الكفاح الطبقي وشكل من أشكال الثورة الشعبية . فلا لقاء في المرحلة العربية الراهنة ، بين الثورة والسلطة .

VIII

عملية اللد صعقت جميع القوى – قوى الاستعمار والامبريالية وبعض القوى «الوطنية» وحتى بعض القوى «الثورية» :

١ – انها أولاً انفجار داخل الركود العربي ومع ان المجد البطولي فيها لم يكن عربياً ، فلا يمكن إلا أن نعتبر ان الهزة التي تحدثها القضية الفلسطينية في ضمير ما تبقى من الأحرار في العالم ، هي في أساس هذا المجد .

٢ ـ وقد أكدت ثانياً ان العمل الثوري مجاني لا وظيفي ـ وانه لا يمكن ان ينجح الا على يد أشخاص ارتضوا الموت ، سلفاً ـ بأي شكل كان ، وفي اي لحظة ، واي مكان .

٣ ـ واكدت ثالثاً على ان العنف الثوري يجب أن يصبح نظاماً عالمياً ، لكي يكون الرد الطبيعي على النظام العالمي الآخر : الامبريالية .

٤ ـ وأكدت ان الامبريالية ما تزال قادرة على أن تجر حتى القوى « الوطنية » وبعض القوى « الثورية » هنا وفي العالم الى منطقها ـ فتحاكم عملية اللد اخلاقياً ، وتسميها وحشية وانحطاطاً ، حين تسكت هذه القوى ذاتها عن عمليات يقوم بها العدو يومياً ، وآخرها عملية حاصبيا ودير العشائر . بل انها ربما اعتبرتها حقاً مشروعاً . وهكذا يصبح المستعمِر « مدافعاً » عن نفسه ، ويصبح المستعمَر « مجرماً » .

٥ ـ ان العنف الثوري الذي يمارسه الشعب المستعمَر هو فعل استئصال لعنف المستعمِر . فهو انتصار للانسان وكرامته وحريته . وهو لذلك عمل شريف بامتياز ، أخلاقي بامتياز . انه عمل الانسان العادل ، الحر .

٦ ـ ليست إسرائيل من وجهة النظر الثورية « وطناً » يمكن ان يزوره اي انسان في جو من الطمأنينة والسلام ، وانما هي « استيطان في ساحة حرب » . ولذلك فان كل من يقبل الدخول اليها ، عليه ان يقبل جميع النتائج التي قد تترتب على الدخول الى حقل ألغام وكائن . ومن هذا المنظور ترفض الثورة الاحكام « الاخلاقية » التي ادانت عملية اللد ، والتي تدين اية عملية مشابهة . ان ما تجب ادانته ، اخلاقياً ، هو العنف الاستعماري الذي ينكر حق حق الانسان في بيته . ان اخلاق الثورة هي العمل بمختلف الوسائل ، لاستئصال هذا العنف واخلاقه : انها اقامة الاخلاق الحقيقية ، اخلاق الحرية والسيادة وكرامة الانسان .

أدونيس

سنيه صالح

طفولة بريئة وارهاب مسن

مأساة محمد الماغوط* انه ولد في غرفة مسدلة الستائر اسمها الشرق الاوسط. ومنذ مجموعته الأولى « حزن في ضوء القمر » وهو يحاول ايجاد بعض الكوى أو توسيع ما بين قضبان النوافذ ليرى العالم ويتنسم بعض الحرية . وذروة هذه المأساة هي في اصراره على تغيير هذا الواقع ، وحيداً ، لا يملك من اسلحة التغيير الا الشعر . فبقدر ما تكون الكلمة في الحلم طريقاً الى الحرية نجدها في الواقع طريقاً الى السجن . ولأنها كانت دائماً احدى ابرز ضحايا الاضطرابات السياسية في الوطن العربي ،فقد كان هذا الشاعر يرتعد هلماً اثر كل انقلاب مر على الوطن، وفي احدها خرجت أبحث عنه . كان في ضائقة قد تجره الى السجن او ما هو أمرّ منه . وساعدني انتقاله الى غرفة جديدة في اخفائه عن الانظار . غرفة صغيرة ذات سقف واطىء حشرت حشراً في خاصرة احد المباني بحيث كان على من يعبر عتبتها أن ينحني وكأنه يعبر بوابة ذلك الزمن . السرير متشبث بزاويتها المظلمة ؛ ملاءات صفراء كأنها من القرون الغابرة ؛ كنبة زرقاء طويلة سرعان ما هبط مقعدها ؛ ستارة حمراء من مخلفات مسرح قديم . في هذا المناخ عاش محمد الماغوط أشهراً عديدة .

لنفترض أن الشرق العربي بقعة سوداء على خريطة الماضي والحاضر ، فما يكون لون المستقبل ؟ ولنبحث بعد ذلك عن مصير الشعر والشعراء من خلال ذلك الظلام الدامس.ألا يكون مستقبل شعرنا رمادا لو تركنا الشعراء للسلطة ؟ واذا ما استعملنا ضوء الذاكرة وجدنا ان محمد الماغوط في وجه من وجوهه جزء من المستقبل ، لذا كان لا بد من حمايته من غباء الحاضر . ولأن هذا الشاعر محترق بنيران الماضي والحاضر ، لجأ الى نيران المستقبل وهو جزء منها بحثاً عن وجود آخر وكينونة جديدة . بدت الأيام الأولى كاللعبة البطولية لنا نحن

* مقدمة لأعماله الشعرية الكاملة التي تصدر قريباً عن «دار العودة».

الاثنين . ولكن لما شحب لونه ومال الى الاصفرار المرضي وبدأ مزاجه يحتد بدت لي خطورة اللعبة . كان همي الكبير ان يتلاشى الاعصار دون أن يخنق غباره «النسر».

كنت أنقل له الطعام والصحف والزهور خفية . كنا نعتز بانتمائنا للحب والشعر كعالم بديل متعال على ما يحيط بنا . كان يقرأ مدفوعاً برغبة جنونية . وكنت أركض في البرد القارس والشمس المحرقة لأشبع له هذه الرغبة ، فلا ألبث ان ارى أكثر الكتب أهمية واغلاها ثمناً ممزقة او مبعثرة فوق الأرض مبقعة بالقهوة حيث ألتقطها وأغسلها ثم أرصفها على حافة النافذة حتى تجف . كان يشعل نيرانه الخاصة في روائع أدبية بينما كانت الهتافات في الخارج تأخذ من بعيد شكلاً معادياً .

وقبل ذلك كان محمد الماغوط غريباً ووحيداً في بيروت . وعندما قدمه أدونيس في احد اجتماعات مجلة «شعر» المكتظة بالوافدين ، وقرأ له بعض نتاجه الجديد الغريب ، دون ان يعلن عن اسمه ، ترك المستمعين يتخبطون (بودلير ؟.. رامبو؟..) .لكن ادونيس لم يلبث ان اشار الى شاب مجهول غير انيق ، اشعث الشعر وقال: «هو الشاعر» .لا شك ان تلك المفاجأة ادهشتهم وانقلب فضولهم الى تمتمات . اما هو ، وكنت أراقبه بصمت ، فقد ارتبك واشتد لمعان عينيه . بلغة هذه التفاصيل وفي هذا الضوء الشخصي ،نقرأ غربة محمد الماغوط . ومع الأيام لم يخرج من عزلته بل غير موقعها من عزلة الغريب الى عزلة الرافض .

من يدرس حياة هذا الشاعر يرَ ان فترات الخصب عنده تتواقت مع الازمات. «فالعصفور الأحدب» واعمال اخرى ما زالت مخبأة في الأدراج ، وقسم كبير من «الفرح ليس مهنتي» جاءت نتيجة انفجار بشري داخلي عنيف حدث في اواخر ذلك الشتاء. في هذه الحمى اخذ يرى علائق الأشياء بعضها بالبعض الآخر. وان هذه الارتباطات قد تنقلب الى علائق خطرة فيما اذا تضخمت من طرف واحد تاركة الطرف الآخر يرتجف دون حول او قوة . ومحمد الماغوط يبحث عن الحماية منذ صغره. لكن كلما التجأ الى ركن رآه خانقاً كالسجن او واهياً كالورق. أراد ان يدخل كون الشعر حيث لا سلطة الا للمتفوقين . والبيئة المضطربة المتقلبة التي عاش في مناخها ،كانت تقف كالسوط في وجهه لترده باستمرار الى

الداخل فيعتصم بمخيلته . في تلك المؤامرة الكبيرة التي حاكتها البيئة ضده عظمت براءته وقوي صفاؤه . وقد اعطته تلك الاقامة السرية فرصة كبيرة للتأمل الذهني . وتحت تلك العدسات كان الوجود الانساني يدخل سلسلة من التحولات . سكب أحماضه المأساوية على الفوضى البشرية ، فبدا الوجود الواحد يحمل في اعماقه وجودات لا حصر لها . وهذا ما دفعه لان يطرق ألواناً أخرى غير الشعر .

في الشعر يمتطي حلمه ويغيب . ليس بمعنى التخلي الشعوري عن واقعه ، وانما بمعنى الطموح الملحّ لخلق وجود بديل عنه . وجود آخر يهيم معه في سفره . غرفة الشعر غرفة لينة ، واسعة ، فضفاضة . تنتقل كلما أشار لها الشاعر . اما الآن فلا مفر له وهو داخل تلك الجدران المتسخة من مواجهة الواقع . لذا انعكست اوضاعه على أبطال «العصفور الأحدب» : سجنهم ، خلقهم مشوهين وبأمزجة حادة ، متقلبة وشائكة . المسافة في المسرحية لا تنقلهم نحو احلامهم او نحو الأفضل وانما تحاصرهم . وعندما امتلكوا الحرية تغيرت مرتفعاتهم الانسانية . دخلوا في علائق جديدة . شكّلوا مرة أخرى لعبة الحاكم والمحكوم التي ما استطاعوا ان يذهبوا خارج حدودها بالرغم من الحريات التي امتلكوها فيما بعد. في «العصفور الأحدب» لم يلتق محمد الماغوط بجمهوره بمعنى المواجهة . التقى به في حالة الجذب والقيادة . ولان الزمن بينه وبين الآخرين كان شاسعاً انكرت كعمل مسرحي وسميت قصيدة . في الحقيقة كان في «العصفور الأحدب» قائداً يسير خلفه جيش مهترىء ، منكوب أرمد . لذا ارتد القائد في «المهرج» وفضح تلك المخازي .

يعتبر محمد الماغوط من ابرز الثوار الذين حرروا الشعر من عبودية الشكل. دخل ساحة العراك حاملاً في مخيلته ودفاتره الانيقة بوادر قصيدة النثر كشكل مبتكر وجديد وحركة رافدة لحركة الشعر الحديث . كانت الرياح حارة وهي تهب في ساحة الصراع ، والصحف غارقة بدموع الباكين على مصير الشعر حين نشر قلوعه البيضاء الخفاقة فوق أعلى الصواري . وقد لعبت بدائيته دوراً مهماً في خلق هذا النوع من الشعر اذ ان موهبته التي لعبت دورها بأصالة وحرية كانت في منجاة من حضانة التراث وزجره التربوي . وهكذا نجت عفويته من التحجر والجمود . وكان ذلك فضيلة من الفضائل النادرة في هذا العصر .

سنيه صالح
(دمشق)

هادي العلوي

أشياء من فصول المسرح الديني في الوطن العربي

حين نتابع النشاط الديني في أكثر أشكاله فسولة وابتذالاً، فان أجهزة الدعاية والثقافة تقف في المقدمة *. ان هذه الأجهزة الحيوية التي تضم الاذاعة

* ليس من همنا ان نستفزهم، ولكنهم يصرون على مواصلة الاستفزاز. ان صورة الملهاة تتراكض بالحاح، ومهام التطور العاجلة تخلي الميدان الفسيح لاكثر المشاريع عقماً ولا جدوى. وعلى كثرة ما نشاهد من اختلافهم، فهم متفقون على تمثيل الدور: رسميين أو أهليين، أفندية أو معممين. والمؤسسات يعضد بعضها بعضاً في مسرحية تتلى فصولها وتمثل كل يوم.

واذ تصل ظاهرة سلبية الى مثل هذه الدرجة من التصاعد في مجتمع يريد أن يتحول، فلن يعود السكوت حقاً على المثقفين، وسيلعن التاريخ كل من يتستر على حقيقة يعرفها ولا يبينها.. وأنا حين أقف لاسرد هذه الوقائع من فوق منبر الابداع والحرية والتغير فلانها تتجاوز اليوم مجرد الرغبة في احترام عقائد الجمهور - كما يزعم ابطال المسرحية - الى كونها شاهداً على مدى الانحطاط الفكري الذي انحدر اليه هؤلاء من خلال تلك الممارسات اليومية التي نلتقي بها على أكثر من صعيد. والسرد كما سيرى القارىء يبدأ من عدم الاعتراف باهمية الدين أو ضرورته لنا وان كان لا يتضمن الدعوة الى الالحاد اذ لا تعلق لهذه الدعوة بحتميات العمل الثوري في الوقت الحاضر. ولكن الدين يضحي بفضل هذه الممارسات من عوائر الطريق وحقيقة كبيرة الضرر تلهي وتستنزف وتضع التافه مكان المهم والكمالي بدل الضروري. وتتضح سلبيات هذه الظاهرة بشكل أتم عندما نعلم انها في رعاية الانظمة وانها متوافرة على مستوى القسر والارغام بما يسخر لها على طريق التخطيط والتنفيذ من قوى السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية. وبنتيجة ما تتعهده الانظمة وحواشيها، الفئات ذات المصلحة من رجال دين وسياسة وفكر وأدب، أقيمت مؤسسات ونفذت مشاريع تهدف الى تديين المجتمع العربي على حساب الاهداف الملحة التي تطرحها الحياة بلا توقف. ويرتبط هذا المسعى بتحالف وثيق مع بقايا التخلف بصرف النظر عن شكلها أو مصدرها. وهكذا مثلا نرى التعايش بين المؤسسات الدينية والعشائرية والحكومية في المجتمع الواحد. ويقف رجال الدين وشيوخ العشائر والانظمة في جبهة مشتركة على الرغم مما قد يتراءى من فواصل غالباً ما تعمل على صعيد شماري (وللمزايدات السياسية سوق رائجة هذه الأيام).

والتلفزيون والسينما ، تفرض في هذه الأيام ضغطاً دينياً متزايداً على الرأي العام في الوطن العربي كله . وقد تبوأت السينما والتلفزيون المصريان مركزاً قيادياً في هذه المعمعة ، شأنها في معامع الغناء والرقص الشرقي والأفلام السينمائية السيئة الصيت . فمنذ أوائل الستينات ، والجهات المعنية في مصر تفتج المزيد من الأفلام والمسلسلات الاذاعية والتلفزيونية ذات المحتوى الديني ، اضافة إلى ما كانت تنتجه في السابق من الأغاني الدينية والادعية والتواشيح ، وتغذي بها أجهزة الاعلام ودور السينما العربية والاجنبية . وقد استغل لهذا الغرض تاريخ الدعوة الاسلامية والخلفاء الراشدين وغير الراشدين ، والفتوحات وسائر الفصول المتعلقة بالتاريخ الديني للاسلام . ويتذرع مهندسو هذه المشاريع بحجة اثارة الهمم والتذكير بالامجاد ،أما في الواقع فانها موجهة للتذكير بالمضمون الديني للاحداث ، بعيداً عن أي مغزى اجتماعي يمكن للمؤرخ ان يستخلصه من بين الشعارات الدينية البالغة التطرف .

وتظهر الاذاعات العربية من المحيط الى الخليج اهتماماً متطرفاً بالمناسبات الدينيـة . وفي رمضان من كل عام تتحول هذه المحطات الى تكايا الذكر والعبادة ، التي تؤدّى هنا باشكال مختلفة من الاذان وقراءة القرآن الى الرقص والغناء .. ويحدث ذلك باسراف لا شك في انه يحرجنا أمام الرأي العام المتمدن الذي ترك أمور الدين للافراد واعفى منها مؤسسات الدولة ولم يعد يسمح بان تقوم الدولة بواجبات رجل الدين او بتصيير مؤسساتها الى معابد . وتنفرد بعض الاذاعات العربية والاسلامية بتقليعة غريبة، اذ اعتادت على اعلان الحداد في شهر محرم بدعوى تجديد ذكرى الحسين بن علي . وفي اذاعات أخرى يزاد على حداد محرم حداد ثلاثة أو خمسة أيام من شهر رمضان هي أيام جرح الامام علي ووفاته . وتقتصر البرامج الاذاعية والتلفزيونية في هذه الأيام على النواح واللطم . وقد تطرفت حكومة قاسم في العراق فادخلت قراءة (المقتل) في الاذاعة منذ عام ١٩٦١ . والمقتل هو قصة استشهاد الحسين مضخمة بالخرافات ومقروءة بلحن جنائزي ذي نبرة عالية تصل في بعض المقاطع الى الزعيق والصراخ ، وتستمر القراءة ثلاث ساعات متواليات .. ولا يمكن الا ان تتملكنا الحيرة في سرّ هذا الاحتفاء بذكرى للحسين ؟ ان معركة كربلاء هي واحدة من مئات المعارك الاجتماعية التي وقعت في الاسلام وحملت من أهداف الثائرين ما املاه عليهم وعيهم وحددته ظروفهم ومراحلهم التاريخية الخاصة ،كما تخللتها

أقسى الفواجع ، فما الذي اختصت به هذه المعركة حتى تنفرد بهذا اللون الشاذ من التكريم ؟

ويمارس الجمهور الشيعي في العالمين العربي والاسلامي طقوساً محيرة في شهري محرم وصفر ، حيث تصادف هذه الذكرى . والطقوس على شكلين :

(١) مجالس تعزية تقـام على امتداد الشهرين يخطب فيها رجل دين يسمى الروزخون وهي كلمة فارسية مؤلفة من نحت كلمتي روضة وتعني العتبة المقدسة أي مرقد الامام الشيعي وخوان وتعني القارىء . تشتمل خطبة الروزخون التي تحل عند الشيعة محل خطبة الجمعة عند السنة ، على موضوعات دينية متنوعـة وتنتهي عـادة بفقرة ختامية تتلى على شكل حداء يقوم بـه الروزخون او مساعده حيث يأخذ الحاضرون بالبكاء على الحسين . وهذا الطقس من أصـل وثني يعود الى عهد البكاء على تمـوز اله الرعي والخصب في الأساطير السامية الموغلة في القدم .

(٢) مواكب لطم تنظم في المعابد المعروفة بالحسينيات وحول مراقد الائمة وفي شوارع المدن والقرى . وفيها يخرج الرجال عراة الى النصف ومعهم حادٍ يقرأ لهم وهم يلطمون صدورهم بقسوة . وتستعمل في بعض المواكب سلاسـل من الحديد تضرب بها الظهور . وفي مواكب اخرى تستعمـل حراب تسمى في العراق «قامات» تطعن بها مقدمة الرأس وهو حليق، وتسمى مواكب التطبير نسبة الى الطبر وهو الفاس وهي تخرج في فجر يوم عاشوراء . وكثيراً ما يسقط قتلى من المطبرين بسبب عمق الجروح التي يحدثها التطبير . واستحدث في السنوات الأخيرة «مواكب مشاة» يسير فيها الناس على اقدامهم مسافة تزيد او تقـل عن مئة كيلو متر نحو كربلاء للمشاركة في لطمية الاربعين . ان ممارسـة هذه الطقوس تتزايد سنة بعد أخرى مما قد يشير الى مخطط يستهـدف تكريس مظاهر التخلف في المجتمـع العربي . ولست ادري من يقف وراء هذا المخطط ؟

وتشارك أجهزة الدولة في البلدان العربية كلها في اثارة الضجيج حول موسم الحج ، حيث ترسل البعوث الصحفية والاذاعية لتغطية انباء الموسم . وقـد ظهرت هذه البدعة عندنا في العراق بعد ثورة الرابع عشر من تموز حيث شعرت سلطة البرجوازية العسكرية ممثلة في قاسم وعارف بالخوف من مد الحركة التقدمية

فعمدت ، بين بعض ما قامت به ، الى تقوية وتعميق الوعي الديني . ويهيء الحج فرصة الاثراء لكبار رجال الدين بفضل ما يجبونه من ضرائب الخمس والزكاة من الحجاج . بينما يقترن الموسم ببعض مظاهر الاسراف حيث تذبح الملايين من الاغنام وتترك في رمال مكة لعدم الحاجة اليها ، فضلا عما تتكلفه أجهزة الدولة التي تستنفر لمواجهة متطلبات الموسم . ولمناسبة الحديث عن الحج ، حصلت محاولات من بعض العناصر الوطنية لاقتراح مشروع فتوى على رجال الدين بان يخصص الأشخاص الذين ينوون الحج ما يعادل نفقات حجهم لدعم المقاومة الفلسطينية على ان يعتبر ذلك حجاً لهم ، كتدبير استثنائي تفرضه الظروف الصعبة الناجمة عن المد الصهيوني في المنطقة العربية ، ولكن رجال الدين رفضوا مجرد الخوض في هذا الاقتراح كما رفضه جمهور المتدينين والحجاج ، على الرغم من الضجيج الذي يثيرونه حول احتلال اسرائيل للمسجد الاقصى .

وتتفق الانظمة العربية على جعل الدين مادة أساسية للدراسة في المراحل السابقة للتعليم الجامعي . وتطغى على مناهج الدراسة الدينية في هذه المراحل نبرة وعظية باردة وفكر غيبي يتجافى بشكل مؤسف مع روح العصر . وتشيع نبرة الوعظ الديني ايضاً في دروس التاريخ ، في حين يجري في بعض المناهج الأخرى كدروس الجغرافية تأكيد لرابطة الدين بين شعوب الأمة العربية . ولا بد لهذا التأكيد من ان يتضمن استبعاد غير المسلمين من دائرة هذه الأمة التي تضم المسلمين والمسيحيين والصابئة وغيرهم .

وبتأثير الدين لا تزال المرأة العربية مواطنة من الدرجة الثانية . ينعكس هذا الوضع في قوانين الزواج والطلاق وسائر مواد الأحوال الشخصية التي تحكم المحاكم الشرعية بمقتضاها . سيتعين علي قبل المضي في وصف هذه الظاهرة لفت النظر الى ان تنظيمات الاسلام لشؤون المرأة قد شرعت لمرحلتها ، شأن اي تشريع في الدنيا . وفي ضوء ما كان سائداً في الجاهلية تعتبر هذه التنظيمات بحد ذاتها خطوة تقدمية وتطوراً جدياً في حياة المرأة . وفي رواية للامام مسلم في الصحيح ، أكد عمر بن الخطاب ذلك الفرق الكبير بين وضع النساء في الجاهلية والاسلام اذ يقول : « ان كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله تعالى فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم » . ولكنها اليوم من معوقات التطور في نظام الأسرة زيادة على ما فيها من معطيات لا انسانية ــ بالشكل الذي

تظهر عليه عند الفقهاء * . وتذهب قوانين الأحوال الشخصية النافذة في بلاد العرب الى أبعد مدى مستطاع ، وربما غير مستطاع ، في تكثيف الجو الرجعي المعادي لحقوق المرأة ، حتى ولو أدى الأمر الى مخالفة النصوص الشرعية الأصلية نفسها . ونسوق فيما يلي مثلاً من واقع ما يجري في المحاكم الشرعية .

الطلاق

عندما يحدث ان تخرج احدى الزوجات على ارادة زوجها فترفض العيش معه لاسباب تخصها كانت ، وعندما يرفض الرجل « الذي يملك وحده حق الطلاق » ان يتخلى عنها فان باستطاعته ان يرفع الدعوى الى المحكمة طالباً اعتبار زوجته ناشزاً ، وفي هذه الأحوال تحكم المحكمة على الزوجة تبعاً لطلب الرجل اذا فشلت في حملها على الرجوع اليه . ويقضي النشوز باعتبار الزوجة بائنة عن زوجها مع بقائها في عصمته وعدم السماح لها بالزواج من غيره مدة تتراوح بين سبع سنين أو العمر كله . وتبرر هذه العقوبة الانتقامية التي تشبه من بعض الوجوه ملاحقة العبد بتهمة الاباق على انها تأديب المرأة التي ترفض زوجها . وقد بحثت عن أصل العقوبة في النصوص الاسلامية الأولى فوجدت الآية ٣٤ من سورة النساء تقول (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) والآية تعطي الزوج حق استخدام الضغط على زوجته الرافضة بالنصح أولاً ، فان لم ينفع فمقاطعتها جنسياً ، فان لم ينفع فبالضرب . وقد اشترط النبي في حجة الوداع أن يكون الضرب غير مبرح . ويعطي القرآن هذا الحق للرجل بحكم قيمومته على المرأة . المهم ان الآية لا تنص على العقوبة التي تستعملها المحاكم الشرعية ضد المرأة . ثم نخلص الى الحديث النبوي فلا نعثر في الأبواب الخاصة بالنكاح على نص صريح بهذه العقوبة . هناك على العكس وقائع ذات دلالة مغايرة وقد أخرجها البخاري في الصحيح وهذا نصها : « عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس اتت النبي فقالت : يا رسول الله ثابت بن قيس ما اعتب عليه في خلق

---

* اقرأ هذه العبارة في باب سقوط حق النفقة « ... اذا كانت الزوجة صغيرة لا يمكن الانتفاع بها لا في الاستمتاع ولا في الائتناس ولا في الخدمة ، لان المقصود من الزواج لا يمكن استيفاؤه منها » أي فرق بين ان تقول هذا عن المرأة أو تقوله عن أحد حيوانات السيرك ؟ أو عن بغي تستمتع بها لقاء أجر معلوم ؟ أو حمار تستأجره من صاحبه ليحمل أثقالك؟

ولا دين ولكني اكره الكفر في الاسلام . فقال رسول الله : اتردين عليه حديقته ؟ قالت نعم . قال رسول الله : اقبل الحديقة وطلقها تطليقة».

وعبارة زوجة ثابت تفيد انها تكرهه لغير ما سبب . والمقصود بالحديقة بستان سجله ثابت مهراً لها .

وفي حديث آخر عن ابن عباس ايضاً : « ان زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث كأني انظر اليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته . فقال النبي لعباس : يا عباس الا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثاً ؟ ثم التفت اليها النبي قائلا : لو راجعتيه ؟ قالت : يا رسول الله اتأمرني ؟ قال : انما أنا اشفع . فقالت فلا حاجة لي فيه » وهذه وقائع تفضح المحاكم الشرعية والفقهاء الذين تستقي منهم لانها صريحة في النص على حق المرأة في الانفصال عن زوجها متى شاءت .

الاوقاف

شرع الوقف أصلاً لاثبات نوع من الملكية الشائعة في بعض الاموال وكان يعبر عنه بالحبس يعنون ان يحبس الشيء في سبيل الله كأن يقول فلان ان دوابي حبّس في هذا السبيل فتكون عند ذاك في خدمة عامة وتخرج عن ملكية صاحبها . وقد طبق الوقف على أراضي الاقطار التي افتتحت عنوة في عهد عمر كأراضي السواد ـ العراق ـ والشام ومصر . ويعتبر القرار الذي اتخذه عمر بن الخطاب بوقف ارض العراق أول مشروع لتعميم ملكية الأراضي في الاسلام وبمرور الزمان اكتسب الوقف معنى دينياً بربطه باغراض العبادة وفقد دلالته السابقة على الملكية العامة بصيرورته اقطاعاً خاصاً للفئات الدينية . في الوقت الحاضر ، تتبوأ الاوقاف الاسلامية مركزاً مماثلا لما كانت عليه املاك الكنيسة في عهد الاقطاع الاوروبي . وليس لدي معلومات كافية حول مقادير هذه الاملاك في البلاد العربية . ولكن من المعروف انها تنتشر في جميع انحاء البلاد وتنقسم الى اراض زراعية وبساتين وعقارات وأسواق وخانات وأراض مهجورة . وتزيد القيمة التقديرية لهذه الموقوفات في بعض الاقطار على مئة مليون جنيه واغلبها غير مستغل والمستغل منها مكرس حصراً للانفاق على المصالح الدينية كبناء المساجد . ويذهب قسم كبير الى جيوب المرتزقة . ويلتف حول الأوقاف في كل بلد شرذمة من هؤلاء على شكل رجال دين

وموظفي أوقاف ولهم تاريخ طويل من التكالب على المنافع (الدنيوية)، مع نماذج طريفة من السرقات ومنها سرقة القفص الفضي المنصوب على ضريح ابي حنيفة في بغداد. ويزيد ارتفاع القفص على ثلاثة أمتار أما طوله فيقارب الستة.

ان الأوقاف الاسلامية خاضعة في العادة لادارة الدولة. وفي بعض الاقطار أوقاف شيعية ربما اربت بقيمتها على الاوقاف الرسمية ولا سلطان للدولة عليها. ولدينا مطالعات مذهلة حول الأموال المخزونة في العتبات المقدسة في النجف وكربلاء كتبها السيد مصطفى الماحي في تقرير محفوظ في دائرة الاوقاف العراقية وانقل ملخصاً لما جاء في التقرير :

قال الماحي انه وجد في النجف أربعة أنواع من النفائس هي :

١ ـ صندوق داخل المقصورة التي في الروضة وبه كما علمت كثير من الماس والحجارة الكريمة في مصوغات مرصعة.

٢ ـ قطع السجاجيد الاثرية الثمينة المخزونة.

٣ ـ الكتب الخطية المحفوظة.

٤ ـ الخزانة الكبيرة.

وقد اتصل بالسادن ليطلعه عليها ووصف الحال قائلا : أما الأول، يقصد الصندوق، «فرغم الحاحي على السادن أكثر من مرة وعلمه بمهمتي الرسمية ووعده المكرر لي بتمكيني من رؤية ما في الصندوق، لم يسمح لي برؤيته. واما الثاني فقد مكنت من رؤيته ولست استطيع ان أصور مقدار ألمي على ما وجدته من آثار الاهمال وعدم تقدير ما لهذه الهدايا من القيمة العظيمة فان هذه القطع من السجاد المنسوجة من الخز والديباج نسجاً يعيا بمثله أهل هذا الزمان وقطع الستائر المرصعة باللؤلؤ وغير ذلك من المنسوجات التي يتنافس في مثلها الملوك وأصحاب الملايين ملقاة في غرفة لا يزيد حجمها على ثلاثة امتار وقد تطرقت اليها يد العث». وبعد ان وصف حالة الكتب قال الماحي: «اما الخزانة الكبيرة فلم استطع مشاهدة ما فيها وهي مسدودة في مكان غير معلوم الا لافراد معدودين وقد علمت ان فيها من الآثار النفيسة والموجوهرات الثمينة ما يفوق كل ماهو ظاهر في الروضة والخازن الى اكبر حد». وذكر في معرض الوصف

ان قصة هذه الخزانة لم تصدق عندما اثيرت في مجلس الأمة العراقي واعتبرت من نسج الخيال . اما محتوياتها فلم يفصلها الماحي لعدم اطلاعه عليها ولعدم تسجيلها . وكان متصرف كربلاء في عام ١٩٣٥ قد كشفها ولكنه لم يقدم تقريراً بنتيجة الكشف وظل السر مجهولاً . وقد أخبرني مسؤول سابق في الاوقاف ان من جملة ما فيها عروشاً لبعض السلاطين من الذهب الخالص واكواماً من الدرر النادرة ومنقلة من الذهب جمرها يواقيت متوهجة ورمادها مسك . واكد لي هذا الوصف أحد أقرباء متصرف كربلاء الذي قام بالكشف واضاف ان مما فيها أيضاً بدلة نسائية منسوجة كلها من اللؤلؤ . وهذا جزء يسير مما بلغ اليه علمنا . ويجب ان نلفت الانتباه الى ان هذه الكنوز غير مسجلة لدى اية جهة وانها كما يقول السيد مصطفى الماحي موضوعة تحت تصرف السادن بلا حسيب ولا رقيب . ومن هنا نستطيع تفسير ما يتمتع به مرتزقة العتبات المقدسة من ثراء عريض وحياة باذخة فيها الكثير من العجرفة والاستعلاء على عامة الناس وليس فيها شيء من التدين والورع . هذا في حين تعاني جمهرة رجال الدين وضعاً معاشياً سيئاً تحولوا بسببه الى شحاذين يتعرضون بالسؤال لزوار العتبات وطالما سمعتهم يتوسلون بخضوع مؤلم الى الزوار ان يعطوهم النقود أو القطع الذهبية بدلاً من رميها داخل القفص المنصوب على الضريح لانهم يحرمون منها وتذهب الى غيرهم ، يعنون كبار السدنة .

وتشغل المراقد الدينية نفسها فصلاً آخر من فصول الملهاة العجيبة . فهذه المراقد مصفحة كلها بالذهب : قبابها ومآذنها وجدرانها وابوابها واضرحتها . وهي تعمر ويبدل ذهبها باستمرار (غالباً ما تكون هذه العمليات مصحوبة بضجيج اعلامي يصل احياناً الى اقامة المظاهرات الاحتفالية في الشوارع العامة كما حدث عندما جلبت الابواب الذهبية لمرقد العباس بن علي من ايران سنة ١٩٦١) .ومن الجدير بالذكر ان الراقدين تحت هذه القباب متفقون كلهم على ان الذهب محرم على الرجال حتى ولو كان خاتماً على قدر الاصبع . وهذه بالطبع احدى المفارقات .ومن المفارقات ايضاً ان تكدس هذه الكتل الهائلة من السبائك الذهبية على جثة رجل « لم يضع في حياته لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة » وأبى ان يقيم في قصر الامارة عندما كان حاكماً لاكبر امبراطورية في عصره . ولست اشك في ان علي بن ابي طالب سيرفض هذا التكريم لو خير فيه خاصة وهو يرى هذه الكنوز والمشاهد البالغة الثراء تقام

في وسط تموت اكثرية اهله من الجـــوع .

مبدئياً ، يجب التأكيد بان حضور الدين في مجتمـــع ما لا يعطي بالضرورة دلالة سلبية على تطوره ، فالدين حاضر في المجتمعات التكنولوجية وفي مجتمعات الاشتراكية العلمية كذلك . ولكن تعلق هذا الحضور بالدولة ، وبالشكل الذي ترسمه الوقائع الموصوفة آنفاً ، يتضمن هذه الدلالة . إن نظرة سريعة على هذا العصر ترينا ان الدول التي حافظت على تواصلها مع الدين لا تخرج عن احدى صفتين : (١) دول تستخدم الدين لغايات ايديولوجية أحوج اليها الصراع ضد الطبقات المحكومـــة . وهذا الطراز من التواصل قديم يتّصل باول ظهور الطبقات ، ولكنه الآن ، وفي وجه طغيان الفكر الماركسي ، أقوى والحاجة اليه أكثر الحاحاً . ان الدين لم يعد اليوم ، عقاراً مخدراً يعطى للجماهير المسحوقة فحسب ، بل هو أيضاً ، سلاح هجومي مجرب في النضال ضد الفكر الجديد ، فكر الطبقات الثورية المعادية للاستعمار والاستغلال الرأسمالي . والدول المعنية بهذا البند هي تلك الممثلة لمصالح الطبقات الاستغلالية من اقطاعيين ورأسماليين. ولعل هـــذا هو السر في احتفاظ الدين بالكثير من مواقعه المهمة في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة . (٢) الدول المتخلفة ، والمسماة على سبيـل التلطيف دولاً نامية . ولهذه عدا وضعها الطبقي كممثلة لاحدى الطبقتين الاقطاعية أو الرأسمالية، مساس بالايديولوجية الدينية يصدر عن تخلفها الحضاري . من الجدير بالملاحظة استناداً الى السوسيولوجيا الدينية ان الانسان البدائي أكثر خضوعاً لأوهام الدين من أخيه المتمدن . ومن المتفق عليه بين علماء الاجتماع ان الاعتقاد بالقوى الخارقة شائع في كل المجتمعات المتخلفة كأحد القواسم المشتركة لها . وتكشف الدراسة الميدانية لهذه المجتمعات عن هيمنة شاملة يتوغل بها الدين في كافة تفرعـــات النشاط الاجتماعي بحيث تختلط القواعد الدينية بالقواعد القانونية والاخلاقية الى الحد الذي تنصهر عنده كل هذه القواعد في بوتقة الدين . ان هذا التلازم بـــين الدين والوعي البـــدائي يعكس الخصائص المشتركة لكل منهما . وقد أرجع هيجل أصل الدين الى الشعور بالعجز عن تصوير المثل الأعلى في الوجـــود .

وبالرجوع الى العنصر الأساسي في الدين وهو الالوهية نجد انها قد ظهرت مع البدايات المبكرة للوعي الانساني وكانت في جوهرها انعكاساً وهمياً عن العالم لانها وجدت في غياب الوعي العلمي ، وفي مرحلة اتسمت بادنى مستوى لتطور العلوم . وقد حمل الدين في مراحله التالية ، الآثار العميقة لبدايته بسبب وحدة العنصر الأساسي فيه . وتشترك الاديان بفرعيها الكبيرين الوثني والسماوي بتلك المبادىء المستمدة أصلاً من هذا العنصر كالايمان بعالم الغيب والقوى الخارقة ومبادىء القضاء والقدر والمعجزات والتوكل والدعاء والعبادات . وقد انحدرت هذه الأصول من الدين البدائي . وهكذا فمع تماثل الاعتبارات الطبقية الكامنة وراء التحالف بين الدولة والدين ، لا بد ان يختلف في قوته تبعاً للوضع الحضاري للدولة . وفي ضوء هذه الحقيقة قد يغدو من السهل ان ندرك لماذا كان النشاط الديني في الدول العربيـة ، مثلاً ، أكثر ابتذالاً مما هو في دول أوروبا الرأسمالية أو في الولايات المتحدة . انه يرجع في الأرجح الى الفارق الحضاري بيننا وبينهم . وتبعاً لمقررات علماء الاجتماع ، فان التقدم التكنولوجي يفرض تأثيراً قاتلاً على مكانة القوى الغيبية في عقول الناس ، فهو يوفر امكانات أكبر في معمعة الصراع ضد الطبيعة بما يؤدي الى تعديل ميزان السيطرة لمصلحة الانسان . ويجد المجتمع المتقدم عملياً وتكنولوجياً حلولاً للكثير من المشكلات التي يقف الانسان البدائي أمامها مبهوتاً فيلجأ في تعليلها ، او في مواجهة أخطارها ، الى الدين .أضف الى ذلك ان استحكام مبادىء العِلّية والضرورة ، المساوق عادة للتقدم الفكري ، يخفض من أهمية الألوهية في التفكير الانساني . ولقد ظل الاتجاه العام في الأوساط الفلسفية موازياً على الدوام للاتجاه الديني ، والجهود العديدة التي كرست للمزج بين الاتجاهين لم تثمر شيئاً . وقد عكس ابن رشد ، أحد أكبر ممثلي الفلسفة التوفيقية ، الشعور بصعوبة الجمع بين ظاهرتين مختلفتين في الجوهر حين دعا الى الاقرار بحقيقتين منفصلتين : لاهوتية وطبيعية ، والتعامل معهما على أساس انهما متقابلتان لا متطابقتان . ولم تكن دعوة ابن رشد الا حيلة قصد بها تمكين الفلاسفة من البحث في الطبيعة ، بالأستناد الى قوانينها الخاصة وليس الى قوانين الدين .

يتضح مما سبق ان اتساع المسرح الديني في الوطن العربي عائد لعاملين: الوضع الطبقي للانظمة العربية ، والوضع الحضاري لمجتمعنا . ويتعين اعتبار كلا الوضعين معبراً على السواء عن الأزمة الذاتية لهذه الأمة . وهنا لا أرى حرجاً في الاعراب عن قناعتي بان المستوى الحالي للانسان العربي لم يساعد على افراز فئة حاكمة متنورة تكون قادرة على اقامة حكم عصري حتى ضمن النمط الشائع في البلدان الرأسمالية المتطورة . وأنا اذ أقر بما أراه من وجهة نظري وجهاً من وجوه الواقع المعاش لا أهدف الى التقدم بتفسير حضاري لمشكلاتنا الراهنة ، فهذه المشكلات سياسية في المقام الأول . وهي نتاج مباشر لوجود الاستعمار في منطقتنا . وليس خافياً ان السياسة الاستعمارية قد عنيت دوماً بالسعي الى اقامة حواجز تحجب عن الشعوب المستعمَرة رياح العصر الحديث . واذا كان هناك من تكريس لواقع التخلف الحضاري في الوطن العربي او في أوطان العالم الاخرى فما هو الا الثمرة المرة لهذه السياسة . واية محاولة لصرف الأنظار عن هذه الحقيقة الخطرة لن تخدم بحال من الأحوال هدف النضال من أجل التقدم ، الذي يجب ان يكون نضالاً سياسياً يتجه أولاً نحو القضاء على الاستعمار ومؤسساته ، اذ من المحال على أمم مستعمرة ان تحرز تقدماً حقيقياً قبل اجتثاث جذور الاستعمار من ارضها .

هادي العلوي
(بغداد)

شربل داغر ، حسن زبيب ، حمزة عبود ، شوقي بزيع

مدخل لتقييم شعر المقاومة

(ندوة حول شعر المقاومة شارك فيها طلاب من الجامعة اللبنانية ، كلية التربية هم : شربل داغر ، حسن زبيب ، حمزة عبود ، شوقي بزيع ؛ وقد أدار الندوة شربل داغر).

شربل داغر : يأخذ الحديث عن الشعر الفلسطيني في المرحلة الراهنة أهمية خاصة ، إذ أن جميع المشاركات النقدية السابقة حول هذا الشعر كانت جزئية غير متكاملة ومعزولة عن السياق التاريخي الصاعد الذي واكب نشوء هذه الظاهرة وتطورها . من هنا كانت هذه الندوة استجابة أولية لوضع هذا الشعر في اطاره الصحيح وتلمساً موضوعياً للخطوط العريضة التي تحكمه .

ولكي نبدأ لا بد من تحديد النشأة التاريخية لهذا الشعر، وما هي المراحل التي اجتازها وتأثر بها، وكيف تمثل هذا التأثر في مرحلة ما قبل الخامس من حزيران . نطرح السؤال على شوقي بزيع .

شوقي بزيع : مرّ الشعر الفلسطيني ما قبل الخامس من حزيران بثلاث مراحل رئيسية :

١ ـ ثورة ١٩٣٦ الشعبية المسلحة ، ٢ ـ نكبة ١٩٤٨ ، ٣ ـ ظهور العمل الفدائي سنة ١٩٦٥ (فتح) .

إلا أن هذه المراحل ليست جامدة ومنقطعة ، ولكنها كانت علامات بارزة في مسار الشعر الوطني الفلسطيني . لقد انعكست المرحلة الأولى ، وهي مرحلة الرد على التغلغل الصهيوني بشعر وطني كلاسيكي صرف . كانت تحكمه نزعة قومية ـ شوفينية تتجسد بلغة الثأر و« الأمجاد الماضية » . وكانت هذه النزعة جزءاً من أدب الثلاثينات العربي الذي كان يناهض الاستعمار الغربي بمظاهره المختلفة . تمثل هذا الاتجاه بشعر ابراهيم طوقان وأبي سلمى . . .

بعد نكبة ١٩٤٨ خفت صوت الشعر الوطني في الارض المحتلة لسببين أساسيين :

١ ـ الاحتلال الاستيطاني الاسرائيلي ، وما فرضه من جو ارهابي على كل التطلعات الوطنية والتي تمثلت ادبياً بمصادرة الشعر الوطني ، وتشجيع شعر الغزل والاخاء الذي يدعو الى صهر المجتمع الاسرائيلي تحت شعار « دولة اسرائيل » .

٢ ـ انقطاع عرب فلسطين عن مصادر الثقافات والمدارس الادبية العربية والغربية نتيجة لعزل هؤلاء عن هذه المصادر .

غير أن الظاهرة المميزة لهذه المرحلة هي أن التراث الشعبي المتمثل بشعر العامّية والمواويل البلدية كان يبرز التطلعات الوطنية لدفينة في اعماق هذا الشعب . وقد استطاعت حركة التحرر العربية وفترة المد القومي أن تفرز ، رغم المحاصرة ، شعراً وطنياً مرتبطاً بتطلعات الجماهير العربية ،تمثل في البدايات الشعرية عند توفيق الزياد ومحمود درويش وسميح القاسم وسواهم .

ولقد شكل بروز العمل الفدائي بداية رؤيا جديدة بالنسبة للشاعر الفلسطيني نقلته من موقع المأساوية الرومانسية الى موقع «التبشير» بفرح القتال :

واذا كنت أغني للفرح
... فلأن العاصفه
وعدتني بنبيذ وبأقواس قزح (محمود درويش).

حمزة عبود : ان أي شعر مقاومة يكون استجابة لمؤثرات تاريخية ـ سياسية مهمة . بعد ١٩٤٨ وظهور دولة اسرائيل بشكلها الرسمي حاولت هذه الاخيرة

أن تفرض سيطرتها على جميع المرافق الفلسطينية . وقد تبدّى ذلك على جميع المستويات السياسية والاجتماعية والادبية . وأتى النتاج الشعري لهذا الواقع سطحياً ومباشراً ابتداء من بشارة الخوري حتى طوقان ، لأن هذه الكتابات كانت صدى ساذجاً بعيداً عن التفاعل الدقيق والواعي مع مستلزمات الرد على هذا الاحتلال . فشعر المقاومة الحقيقي هو معاناة المعايشة نفسها الناتجة عن الالتصاق الوثيق بالمقاومة . ولكن ذلك لا يعني أنه لا يمكن استخراج بدايات متصلة بالشعر الوطني العربي عامة .

حسن زبيب : ان المراحل الأساسية السالفة الذكر لا تنعكس على الأدب بشكل ميكانيكي ـ تلقائي . لان العملية الابداعية عملية مستمرة متواصلة لا تعيش في الفراغ . تأتي المنعطفات الأساسية في حياة اي مجتمع لتفعل وتؤثر في تناقضات هذه العملية بعلاقتها مع الواقع المادي . فالانعطافات التاريخية لا تشارك إلا في دفع هذا الأدب خطوة نوعية متقدمة ، أعني أنها لا تشارك في خلقه. على هذا الأساس أفسر ما أورده شوقي بزيع في سياق حديثه عن تطور الشعر الفلسطيني .

شربل داغر : حتى الخامس من حزيران كانت القضية الفلسطينية محصورة في نطاقها الفلسطيني الضيق . فأتت الهزيمة لتضع الانظمة العربية « التقدمية » أمام امكانياتها الفعلية في انجاز مهام التحرر الوطني . وشكل العمل الفدائي الردّ الثوري على عجز هذه الأنظمة ، واعتبر الكفاح المسلح المدخل النضالي لتحرير الأرض . وقد برز ذلك بالتفاف أوسع الجماهير العربية حول المقاومة ، بعد أن خذلتها الأنظمة ، معتبرة المقاومة المسلحة البداية الحقيقية لحرب الشعب.

كيف انعكست الهزيمة في الشعر الفلسطيني ؟ وكيف تمثلت العلاقة الشعرية بمستلزمات النضال الجديدة ؟

نتوجه بالسؤال الى حسن زبيب .

حسن زبيب : بعد هزيمة الانظمة العربية تطلعت الجماهير بشغف الى ممارسات نضالية جديدة تكون البديل عن الانظمة المهزومة ؛ فكان العمل الفدائي الظاهرة الأكثر انسجاماً مع تطلعات الفئات المتقدمة داخل الوطن المحتل وخارجه . لقد ظهر العمل الفدائي بكل ثقله كظاهرة تحويلية ولم يكن في عام ١٩٦٥ الا ظاهرة جزئية ، وعملا عسكرياً ملحقاً بالجيوش النظامية

العربية . واحتكاك العمـل الفدائي مع الجماهير العربية أفرز نوعاً من الفكر الجديد انعكس على شعر المقاومة نفسه . فليس اعتباطاً أن نرى كل الجماهير العربية تختزل كل قصائد الشعراء خارج الأرض المحتلة وتبقي على شعر المقاومة .

ولقد كان الشاعر الفلسطيني ، بحـكم التزامه ، ليس معبّراً عن التناقض بين الانسان الفلسطيني والاحتلال الاسرائيلي وحسب ، وإنما تخطّى هذه الحدود ليضع القضية الفلسطينية في موقعها الحقيقي من حركات التحرر العالميـة . على هذا الأساس يبرز التجديد في المضمون الشعري لشعراء المقاومة ،ذلك أن المقاومة قد حملت عن قصد أو عن غير قصد كل التطلعات السياسية والاجتماعية لحركة التحرر العربية .

شوقي بزيع : أرى ان الانعطاف الحقيقي في شعر المقاومة لم يكن هزيمة حزيران ،إذ انهذه الهزيمة كانت تحولاً في الذهنية العربية عامة ، وليس في ذهنية الشاعر الفلسطيني الذي كان يدرك عبر انتمائه الايديولوجي مدى قدرة الانظمة العربية على التصدي للعدوان الاسرائيلي . بل لقد تمثل هذا الانعطاف في تحقيق حلم الشاعر الفلسطيني الذي كان يتطلع الى شكل قتالي متقدم يرد على الاحتلال، وتجسد هذا الحلم بالمقاومة مع بداية نشوئها .

يقول محمود درويش في تصريح له عام ١٩٦٨ إن حرب حزيران لم تهزه ولم تشكل انعطافاً أساسياً في حياته الشعرية لأن نظرية حرب الشعب راسخـة لديه ، وانتماؤه كان واضحاً . ما فعلته الهزيمة هو أنهـا رسخت هذه النظرية أكثر . ولقد كانت فدوى طوقان ، وهي من سكان الضفة الغربية التي احتلت عام ١٩٦٧ ، الشاعرة الوحيدة التي انتقلت مفاهيمها الشعرية بحكم الواقـع المستجـد من سمة المأساوية المتفجعة الى رفض هذه الرومانسية والدخول في طور الكلمة المقاومة :

وها أنا بين أعينكم
ألملها وأمسحها دموع الأمس
وأزرع مثلكم قدمي في وطني وفي أرضي .

لكننا نستطيـع القول إن الشاعر الفلسطيني لم تتصدع مفاهيمه بعد الخامس من حزيران ، بينما كان بعض الشعراء العرب القابعين في زواياهم الخاصة والباحثين

عن حل عدمي ـ عبثي أو مثالي للخروج من دوامة المأساة أو المصفقين لأنظمة بورجوازيات الدولة العربية ، كان هؤلاء يعيدون النظر بمفاهيمهم السابقة على طريقة « ركوب الموجة » الصاعدة ؛ فيطلب شاعر ، مثل نزار قباني ، براءة ذمة تقدمية بلهاث ، ويحاول أن يكتسب هوية يعرف أنها ليست له .

حمزة عبود : إن اي مضمون جديد يفرض تحولاً في الشكل ، ولكن التحول الذي ظهر في شكل القصيدة الفلسطينية بعد الخامس من حزيران كان تحولاً طفيفاً مرهوناً بضعف العملية الشعرية عند شعراء المقاومة . فالشكل الذي نراه عند الدرويش والقاسم متقدماً ، لم يكن إلا نتيجة ملازمة لبعض تطورات المعنى الجديد الذي اتخذه الشعر في الواقع العربي . فلقد ظل الشعر تقليداً في أغلب الأحيان من ناحية القاموس أو التفعيلة القابلة للاستيعاب المباشر. ومن ناحية المعنى جعلت الهزيمة (وهي هزيمة لكل معطيات بقاء الانظمة العربية سياسياً واجتماعياً ... وامكانية استمرارها) حنا ابي حنا وزياد والقاسم والدرويش يعطون شعارات معاكسة لهذه الأنظمة والاحتلال الاستيطاني معاً . هذه الشعارات لم تشكل لغة جديدة ولا قاموساً ذا أهمية لانها شعارات سياسية نقلت لا «للتدليل» بل لعجز هؤلاء الشعراء عن ابتكار قاموسهم عبر معايشتهم للمقاومة الفلسطينية .

أنا أرى ان الطابع الوطني المميز لشعراء المقاومة يكاد يكون اقتباساً وليس بفعل الواقع الذي توهموا أو افترضوا انهم يعيشون فيه .

وأنا لا أوافق شوقي في ان الشعراء ، لا بل بعضهم ، كانوا يعيدون النظر في نتاجهم مغرقين في عدميتهم ، بل كان معظمهم يعانون من وطأة القمع الداخلي من أنظمتهم لتطلعاتهم التقدمية والثورية . أمل دنقل ، منع من نشر أكثر من قصيدة في مصر . أما عن التغير الذي ورد في شعر فدوى طوقان فقد بقي، رغم ادعاء الشاعرة ، رومانسيا ، شعراً حبياً وحزيناً ومذكرات فردية خاصة ... بقي شعر فدوى كما كان قبلاً حتى في نتاجها الأخير . التغيّر في الشكل والمضمون حدث حقيقة وبعمق عند شاعر خارج الارض المحتلة: أدونيس : ديوان «وقت بين الرماد والورد» .

شوقي بزيع : هناك تلازم بين مهام التحرر الوطني والنضالي ضد أشكال

الاستغلال والقمع ، ولهذا لم يخل الشعر العربي من شعراء وطنيين واجهـوا أنظمتهم بصلابة . إلا ان هـؤلاء هم غير الذين عنيتهم في جوابي وليس هناك بالتالي اي تناقض حاصل . أما عن شعر فدوى طوقان فكل من يقرأ دواوينها الاخيرة يحس بهذا النفس الجديد على صعيدي الشكـل والمضمون في شعرها . ولعل مرد ذلك انها وضعت في قلب الواجهة بعد احتلال الضفة الغربية .

شربل داغر : يدل مجمـل الآراء على ان هناك قناعة وان كانت متفاوتة ، بأن الشعر الفلسطيني شكل ظاهرة جديدة في الشعر العربي الحديث .

فما هي السمات الفنية الأساسية لهذا الشعر وحدود علاقته بالشعر الحديث ؟

ونتوجه بالسؤال الى حمزة عبود .

حمزة عبود : حين نعاين ملامح الشعر في الارض المحتلة ، يتبين لنا بادىء الأمر أنه أحد الروافد الجديدة التي أغنت الشعر العربي ، ثم ما تلبث الصورة التي ارتسمت في ذهننا ان تتراجع ،فشعر المقاومة الحقيقي هو الذي يطلعنـا مستقبلاً نتلقاه عبر الرمز والصـورة . عدسة الشعراء في الارض المحتلة ضيقة الافق ؛ لم تؤمن التفاعل العميق مع الواقع بحيث احتلت الرؤيا زمناً قصـيراً ومساحة ضيّقة .

أما عن بنية القصيدة فلقد أشرنا الى انها كانت تأثراً بالغاً ببنية القصيـدة الفنية خارج الارض المحتلة ، زائداً الاعلام الذي لم يكن دافعاً ولا جديداً؛ وهو نفسه اعلام الشعارات التي طرحت في الثلاثينات والاربعينات ، والتغير الذي حدث كان بسيطاً وهامشياً . فالاحتجاج بعد الاحتلال كان بدائياً :

انني أبصق أحقادي وعاري
في وجوه الاولياء الصالحين
انني أركل قاذورات ذلي وانكساري (القاسم).

شاعران فقـط ، من الذين كتبوا في الارض المحتلة ، تجاوزا القصيدة « القديمة » ، واحيطت القصيدة عندهما بمعطيات التجربة الشعرية الواعيـة والشاملة : محمـود درويش في دواوينه الاخيرة ، ووليد سيف في « وشم على

ذراع خضرة » . ونلاحظ في نتاجها نمو القضية على حساب الذات ونمو الذات داخل القضية . وواكبت اللفظة انفعالاً جديداً فتحررت هادفة معناها الاخير . تلاحمت القصيدة على صعيد المضمون ــ الشكل . ولكن نمو القصيدة ظــل في جميــع الاحوال مقصراً عن شعر المقاومـــة خارج الارض المحتلة كأدونيس في « هذا هو اسمي » بحيث كانت هذه القصيدة انموذج التحول عند الشاعر .

أما عن علاقة هــذا الشعر بالتيارات الشعرية الحديثة في الوطن العربي فهي ملحوظة بعد أن فسح للشعراء في الداخل مجال دراسته . بحيث نسجل لدرويش التحول الذي حصل في شعره بعد خروجه من الارض المحتلة . هذه العلاقـــة كانت جد طبيعية . وقد أتاحت ثقافة الشعراء خارج الارض المحتلة في زمن ما تقدماً ملحوظاً لم يعرفه شعر الارض المحتلة .

حسن زبيب : أود أن أتكلم ، قبل كل شيء على الشكل الشعري الذي اعتمده شعراء الارض المحتلة بالمقارنة مع التحول الذي طرأ على شكل القصيدة العربية على يدي السيّاب والبياتي ... اذ ان هذا الشكل الجديد غيّر في بنية القصيدة بحيث ضرب الشكل الكلاسيكي للشعر ، ولكن ليس بشكل جــذري بل بشكل يسمح بالتعبير عن تطور الانفعال ومعاصرته . من هنا نجــد الشكل الغالب لدى الشعراء العرب عامة وشعراء الوطن المحتل خاصة استتباعاً لهذا الشكل وبرأيي ان الشاعر الفلسطيني لا يمكن أن يدخل في تحديد وفي تشكيل أطر جديدة على صعيد الشكل الفني لأن توجه كان ، وللمرة الأولى في تاريخ الشعر العربي ، توجهاً طبقياً يستلهم التعبير عن مصالح الجماهير الـكادحة. لهذا نجد أن الالتزام بخط الجماهير يطرح وسيلة جديدة على صعيد المضمون والعزوف عن اختيـــار الشكل . لا شك في أنهم اعتمدوا الشكل الشعري الحديث السائد وتأثروا به كحركة همّها الأول ليس الشكل الصرف بل الوصول والنفاذ الى أعماق أوسع الجماهير العربية .

وبرأيي أن شعر المقاومة على صعيد المضمون ينقسم الى قسمـين أساسيين : القسم الأول ، هو ارتباط الشاعر بالقضية ــ الارض ، والقسم الثاني هو تذويب التجربة الملتزمة وصهرها في معاناة الذات والتعبير عنها بشكل فردي وملتزم في الوقت نفسه . ولهذا يبقى تقييم شعر المقاومة تقييماً متحركـاً يتحول بتحرك نظرة الشاعر الى الحياة والقضية .

وبالمقارنة بين الشعراء الفلسطينيين والشعراء العرب عامة ، الذين عاصروا الحركة الشعرية الفلسطينية ، نجـــد أن هزيمة حزيران لم تفجر فقط الشعر الفلسطيني والقضية الفلسطينية بل فجرت تناقض الانسان العربي مع الانظمة العربية ووضعت انتماءه الايديولوجي على المحك . وكما أن الشعر المقاوم كان قد اكتسب منهجاً جديداً في بلورة القضايا وفي عمق تشكيلها على السواء ، فان الخامس من حزيران قد طرح أزمة الانسان العربي خارج فلسطين وأخذ يعبر عن هذه الأزمة بتساوق مع شعر المقاومة (الملتقى الشعري الأول في بيروت). ولكن الاختلاف الأساسي هنا كان في تقييم الجماهير العربية للشعر الفلسطيني تقييماً مسؤولا بحيث أننا نجد أن ما كتبه الشعراء العرب الباقون يبقى معاناة ذاتية محضة تصلح لأن تكون تحديداً لأزمة الانسان في دول العالم الثالث عامة ، مع كل ما يشوب ذلك من الانفلات من الواقعية السياسية والاغراق في الانفعـــال الذاتي والعصبية المتحضرة . لهذا فاننا ، عندما نقيم الشعر الفلسطيني نقيمه على أنه لم يكن شعراً موقفياً (ربمـــا على الصعيد السياسي) من الانظمة وفلسطين والعالم وازمة الانسان المعاصر .

وفي رأيي أنه ليس هناك شعر مقاوم خارج الأرض المحتلة بالمعنى الخصوصي للكلمة . فشعر المقاومة يجب أن يوحَّـــد كظاهرة متفردة ايديولوجياً وليس لنـــا أن نعمد الى تصنيفه مع كل الشعر العربي الحديث الذي كتب بعد أو قبل الهزيمة .

أما سمات شعر المقاومة الاساسية فتنحصر في :

١ ـ تغير موقف الشاعر لطبيعة التزامه نوعياً من علاقته بالواقع ، فبعـــد أن كانت نظرته عرقيـــة ، أصبحت ، بحكم مستلزمات هذا الالتزام بعد ٥ حزيران ، ارتباطاً ليس بالقضية وحدها بل ، وبالتحديد ، بجميع اشكالهـــا السياسية والاجتماعية والانسانية على السواء (قصيدة « جندي يحلم بالزنابـــق البيضاء » لدرويش).

٢ ـ انسانية شعر المقاومة قربته من الالتزام بالحركة الشعرية في العـــالم ، (القصيدة الأخيرة لدرويش وبعض قصائد سميح القاسم) ، بحيث تخطت القضية الفلسطينية بمستواها الشعري اطارها القومي . فقد كتب بعض الشعراء عـــن

ازمة المقاوم خارج فلسطين والدول العربية (« قصيدة لم يلحنها ميكيس ثيودوراكس » لدرويش).

شوقي بزيع : ان النظر الى فنية شعر المقاومة لا يمكن أن يتم معزولا عن الظرف الموضوعية التي فرضت مضمون هذا الشعر . فمن جهـــة ، بقي شعراء المقاومة ، حتى سنة ١٩٦٨ ، شبه جاهلين بالتيارات الشعرية العربية والعالمية ؛ ومن جهة ثانية ، كان الهـــدف الأساسي لشعراء المقاومة الرد على الدعاية الاسرائيلية التي زيفت عبر آدابها المختلفة الوجه الانساني الفلسطيني ،معيـــدين الاعتبـــار لهوية كادت أن تطمس .من هنا كان الالتصاق بالأرض صوفياً حلولياً بحيث تـكاد أن تضمحل الحدود بين الوطن ـ الأرض والوطن ـ الذاكرة :

نحن في حل من التذكار ، فالكرمل فينا
وعلى اهدابنا عشب الجليل .

كما كان هذا الشعر يعيد الاعتبار للغة حاول العدو الاسرائيلي أن يقتلعهـــا ويصادرها مع بقية التراث الفلسطيني . وهذا ما يفسر خطابية شعر المقاومة في المراحل الأولى بحيث كان الشاعر الفلسطيني يصرخ بوضوح :

نعم ! عرب ولا نخجل
ونعرف كيف نمسك قبضة المنجـــل
وكيف يقاوم الاعزل .

وكانت فدوى طوقان تصر على أن روح الخصب باقية في الأرض :

هذه الارض امرأه
في الاخاديد وفي الارحام سر الخصب واحد ...

ولا يمكننا مقارنة الشعر الفلسطيني من حيث تقنية القصيدة وعمقها بالشعر العربي عامة لاختلاف المهام عند الاثنين . فلم يكن الشاعر الفلسطيني ، كسواه، يبحث عن حل اذ كانت الثورة قد وجهته شطر دربه الصحيح . ولم يكن عليه إلا أن يشكل الاداة ـ الربط بين المقاومة ـ الأرض والمقاومة ـ المقاتل وهـو يتوجه الى جماهير عفوية يحاول دفعها للالتزام بالثورة :

قصائدنا بلا طعم بلا صوت
اذا لم تحمل المصباح من بيت الى بيت

اذا لم يفهم «البسطاء» معانيها .

فالرمز في القصيدة الفلسطينية ليس أداة معزولة أو معادلة ذهنية غائمة بل انه في خدمة الواقع وتغذية له . لهذا كان على القاموس الشعري الفلسطيني أن يقتلع من جذور هذا الواقع نفسه حتى انه كما قال ادوار بستاني قد هز الوجدان الاسرائيلي كما هز الأدب الجزائري وجدان الشعب الفرنسي .

اذا نظرنا من هذه الزاوية الى شعر المقاومة ، نستطيع أن نشفع «انزارية» درويش ومن ثم « سيّابيّته » في أوائل الستينات ، ولخطابية سميح القاسم ومباشرة زياد وتقريريته . الا أنه ، في المراحل الأخيرة ، وبعد انفتاح الشاعر الفلسطيني على مصادر الثقافات ، دخلت هذا الشعر عناصر جديدة : كالعمق في الرمز ، وديناميكية الصورة ودخول الاساطير ، كما يبدو في استعمال القاسم لط ثر الرعد أو تأثره بنشيد الاناشيد . ولقد تغلغل الشعر الشعبي الفولكلوري والموال الفلسطيني في القصيدة التي أصبحت على تماسّ مباشر مع الشاعر في محاولته لِغَرْس الأصول الفلسطينية في عمق الارض . ولقد انتزعت من واقع المقاومة صور هي غاية في الشعبية ، كقول أحمد دحبور :

شعرها الاسود من ليل المخيم

فتحة العينين ، يا دين النبي !

ويمكن الاشارة أيضاً الى ارتباط هذا الشعر بشعر العامية المصري على يدي الشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم . وبرأيي لو اتسعت رقعة المقاومة لتشمل أجزاء عربية أخرى لكان يمكن أن تخلق شعراً ثورياً متشابهاً كما حصل في جنوب لبنان .

وأخيراً ، لم يشكل الشعر الفلسطيني من حيث الشكل مدرسة فنية متمايزة بل توزعت تقنيته على مدارس متعددة بينما كان يشكل على صعيد المضمون والتوجه ظاهرة متكاملة تخطت بنيتها قصائد الشعراء العرب المقاومة للتسلط والقمع الى مستوى الفرادة والتميز .

شربل داغر : تبقى أزمة الشعر العربي الحديث والفلسطيني منه مطروحة . وهي أزمة التوصيل . فالخطوة المتقدمة التي أمنها الشعر الفلسطيني ، وهي توجهه الهادف ، لم تمنعه من الغرق في العفوية ــ المباشرة ؛ بمعنى أنه لم

"ينمّ" الوعي الجماهيري العفوي الملتف حول المقاومة الفلسطينية بقدر ما شارك في تكريس هذا الوعي .

طرحت القضية الفلسطينية عبر النضال المسلح الفلسطيني كمحور أساسي ضمن حركات التحرر الوطني في العالم . هل استطاع الشعر الفلسطيني ان يربط الموقع الذي تحتله حركة التحرير الوطني الفلسطيني من شعر وقضايا حركات التحرر العالمية ضد جميع اشكال القهر والاستغلال ، القومي والطبقي؟ نتوجه بالسؤال الى شوقي بزيع .

شوقي بزيع : «اعتبر نفسي امتداداً لشعراء الاحتجاج والمقاومة ابتداء من الصعاليك وحتى ناظم حكمت ولوركا وأراغون الذين هضمت تجاربهم في الشعر والحياة وأمدوني بوقود معنوي ضخم » ؛ هذا ما يقوله محمود درويش نفسه . الا ان ما ينقص شعر المقاومة هو المعايشة الحقيقية والجزئية لحياة المقاتل المقاوم كما حصل في الادب الفيتنامي والجزائري او الأدب الفرنسي إبان الاحتلال النازي . وتطور هذا الشعر مرهون بعاملين :

١ ــ مشاركة الشاعر الفلسطيني نفسه بالقتال كما حصل مع أراغون ولوركا ونيرودا الذين كانت تجاربهم الشعرية صدى عميقاً وحياً لنضالهم ومشاركتهم في المعارك .

٢ ــ بتحول المقاومة من ظاهرة خاصة وجزئية الى ظاهرة اجتماعية عربية عامة تغير مفاهيم وسلوك وذهنية الانسان العربي وبالتالي نتاجه الفكري والادبي .

حمزة عبود : ان انفتاح شعراء المقاومة على قضايا وحركات التحرر في العالم ينبىء بموقع جديد لهذا الشعر وان كان هذا التوقع ليس وارداً الا عند النزر القليل الذين يعوزهم الجلد والمثابرة في اختيار قضاياهم من جهة واتجاهاتهم الشعرية من جهة ثانية .

حسن زبيب : ان الاضطهاد الذي يمارس على شعوب العالم الثالث في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية قد عكس لدى هذه الشعوب شكلاً من النضال متقدماً؛ وهذا النضال بدوره قد عكس أدباً مقاوماً كما في فلسطين . وانني ارى ان

الشاعر المقـــاوم لا يستطيـع ان يكون امتداداً لشاعر مقاوم آخر ولا استتباعاً لتجربته .

وننتقد في ذلك اي تقليد او تبعية لشاعر آخر او لتجربة اخرى . فاللقاء الصحيح بين شعر المقاومة الفلسطينية وشعر حركات التحرر العالميـــة يتم على قاعدة أساسيـــة هي التمثلات الشعرية لتطلعات الجماهير المستغلة ضد جميع اعدائها القوميين والطبقيين .

شربل داغر : يبقى النقاش مفتوحاً ، فالمشاركات النقدية في هذه الندوة حاولت ان ترسم وتحدد الاطار التاريخي لنمو هذه الظاهرة مترسمـــة الانعطافات الاساسية التي مرت بها فترة من النضال الوطني الجماهيري لتحرر الشعوب العربية .

واخيراً اذا كان لا بد من الخروج باستنتـاج استشرافي حول تطور شعر المقاومة فلا بد من القول ان تصاعد حركة المقاومة بعد التراجع والانحســار اللذين تعانيهما في هذه المرحـلة مرهون بنضج الوعي عند الجماهير العربية الذي يتأمن ببناء العلاقة التاريخية بين المقاومة الفلسطينية وموادتها الثورية ـ الجماهير العربية الكادحة ، بحيث تواكب تلك العلاقة الاحزابُ العربية الطليعية التي تتبنى الكفاح المسلح شكلاً نضالياً أساسياً لتحرر هذه الشعوب .

على هذه القاعدة يتأتى للشعر الفلسطيني والعربي معاً ان يصبح بجمله شعراً مقاوماً وأن يشكـل الظاهرة الاساسية والسمة المميزة للمرحلة الشعرية العربية المقبلة .

ابراهيم زاير

وردة الضحايا



ابراهيم زاير، بريشة حلم جرداق

الى سمير الهاشمي

أخذتُ حلم العالمِ وجزأتهُ دون ثقــةٍ
أسقطتُ جمَلَ الاعتراضِ، عرّيتُ المعاني من الدهشةِ
واعترفت بكرامة الدمِ قبل ان يكون وصيةً
هذا أنا ومعي وردة الضحايا.
هي الفتنةُ الاوليةُ، الوقفة التي يصمت عندها الشعراء واصدقاء الشعراء

شريف الربيعي

فاتح الاقواس المكررة على الضيم

كفَّ أن يكون مفعولاً به في جملة الموت المفيدة، أن يكون صديـق البحر والمرايا والطفل الذي سيأتي بعد قليـل، أن يكونَ حصاةَ الطفـولةِ

انها اللعنةُ ، تتكلم لغةَ الصمتِ المفضوحِ واشتعالِ المعادنِ . انها خفقـــةُ
الموتِ العاري من رداءِ الفضيحةِ
الموت الذي لا أكثرَ من موت . انها نهـــاية الخياناتِ وصخرةُ الهروبِ .
انها التي لا ترى لا تخمّن لا تموت . انها سقطـــةُ النهايةِ ،
نداءُ الجثثِ الغائبةِ في البيوتِ وفي الصبحِ الكذابِ . انها الصبرُ المقبولُ
ــ الوحيدُ ــ لمطرِ ملحٍ . انهـــا تجاوزاتُ الامسِ المسجّلِ في التعارفِ
والارادات . انها العذابُ . انها رخصُ الشكوى . انها رقصةٌ متسولةٌ ،
تصمتُ تخدعُ نبلَ البَصَر .

الفصلُ الاولُ من ذاكرةِ الليلِ هو الكهفُ
هو الحبُ (قبل ان تغادرو الاحلامُ) هو الجسَدُ
هو البطاقةُ المراوغةُ هو الفرحُ المدانُ
هو النكسةُ : «وقفتَ عيني على نهايةِ اللعبةِ ، أوشكتُ أن
اضيف اليهـــا لحمي ، قاعَ السقوطِ ، ارمي بدني
وألمّ قميصي وأمضي»

انها شرفُ الاتهامِ التحضير الزمن الموضوعي ،وانها يا خوفي
جذبةُ العنُق الى الوراءِ .انها تخجَلُ الادانةِ الأنثى .

المتـكلـسةِ على الذكرى ، أن يكونَ حصانَ الثورة الرازحِ تحت وطأةِ
النظرية ، أن يكونَ مسحاةَ العذابِ الجنوبية .

لم يعدْ يطيقُ التحديقَ في الولائم البورجوازيةِ ،والأصدقاء المنشقين خارجَ
أقواسَ العقيدة الممهدة للموت ، وداخل النظرية جلس يسامر رأسه بفرح
الاندماج مع فلسطين .
لأنه لم يعد ينتظرُ مركبةَ الموتِ الذهبيةِ خـــارجَ مستنقعات الرز ، وقف
في رائحةِ الارض وراهنَ على فاقةِ الجسد ، وتمـــرد الأصابـع . وقف في
الجفافِ ، مغامراً بالصرخةِ الاخيرة .
ماذا يفعل ــ ماذا أفعل ــ لا كورسَ هنـــاك ــ كان صوته ، وحده ، يعلو .
صارَ السؤال والصدى ، النشيد والكورس .

هذي ثِقَةُ الوَعدِ والجيلُ التورُّطِ : أقبَلُ ان أقبَلَ حيلةَ الموجِ قبلَ السدودِ (وانا آكلُ التجْربةَ) وأنا
انتظر نفسي عند حدِ العَطايا الموزعة في مدينةٍ في كتاب في ثورةٍ ،
انا المقبولُ في السطور وفي متعةِ الليلِ المراقبِ قبل الذهولِ المستحيل،
آه .. الذهولُ المستحيلُ : لونُ المسيرةِ المهتزةِ
تحت اصابع السَقطة
السَقطة
السَقطة .

انها عشقُ الوهمِ تقدم فخذيها لرُعاةِ السماءِ الغاضبين . انها تقتُل في الغُرفِ المستباحةِ نذيرَ الفرحِ الطالع من جُثتي .

إنهضي يا مُنقِذَةَ التوازُنِ ، ثِقَةُ الأولِ لم تعد . سافرتْ الى الموتُ والسجونِ البريئةِ . ثقةُ الاول ثقتي بمديحٍ يقظانَ وشواطيء تسهرُ في طرفِ المدينة تسمعُ الخيانةَ المدّبرة . عذّبتني المقصلةُ ، تُريدُ شهودي ، وما قنعتْ بخنجرِ العطبِ المزمن كالجرحِ ، (سِمَةُ العذاب قبل الكلمة ، رغبةٌ تَسْرقُ حزنَ السنوات) .

أين هو العراقُ تكنولوجيا الفاجعة ، أين هي الطفولةُ العراقيةُ المدربةَ على الجوع والمشنقة ؟
وقفَ بين اللعناتِ وكان فاتحَ الأقواسِ المكررةِ على الضيم .
لم يعد صدأ على سكينِ الحضارة وهي توغلُ في لحم « العمارة » . لم يعد مرساةَ لأنينِ الوردةِ المخدرةِ بالبطولة .
وقفَ في زهو الصبوات ومد لسانهُ سخريةً :خذْ أيها الطالع شهادة التقدير هذه ، وبين الطفولةِ والمرأة التي تخون ، جمل الأغنية المبهمة تأتي ، والعشيقةَ المبهمةَ تأتي ، والثورةَ المبهمة تأتي ، والأرقامَ المجهولةَ عن ضحايا الطفولةِ تأتي ، والصداقةَ نفقاً مضاءً بالتحدي .
إنه فرحُ الصباحاتِ الرائعةِ ، حيث لا يجري التفكير بالانتحار مرة ثانية :

[ها أنا أعطي هذه المجازر أعفي مِقْصَلَتي مِنَ
الحسابِ أعاتبها أنقُلُ من جفني وردةَ الضحايا
الى قلبي وأشحذُ الزمن الجديد].

كتشِفُ الغفوة الأولى ، يا زمن التاريخِ المعشـــوق ، اكتشِفُ الوُدّ الباكي حنيناً الى عطش الضحايا . انه النوم الذي يليقُ بالشجر .

هواجِسُ القتلى صعبةٌ ... تريد الحكمة المخفية في المناديل وفي هوامش الكتب الهجينة في المبادىء المنسوخة في اللغة في خططِ المقاتلين ، وفي الهـــدوءِ الراكد ، وهذه هي النهايةُ ...

هذه اشياءُ الضجةِ المقبلةِ المسرحُ الخالي من الخِدعِ ينظّفُ الليل من غبارِ النجومِ وهم استراحوا وكتبوا موعداً مع الهبةِ الآتيةِ ،انها الهبةُ الآتيةُ تهزُّ جذور حزني . انها صنعةُ المحاربِ ، العهـــدُ الراكضُ ، جمرةُ الحضور المشتعلة ناراً لهباً اعمى ، انها الهبـــةُ الآتيةُ ترمي الطقوس على الصخبِ المموّه والصفات الودودة في اللغة القريبة مثل ورقة وفي هيبـــةِ الاصوات اللاهثةِ اشباحاً من اللعناتِ الراعدةِ رُمحاً يفارق رايةَ القادةِ

تمترس بالموت ، برّر الأفعال الشرسة ، ووطّنَ رأسه لصـــوتِ الرصاصةِ النافذ . لانـــه سيجرب الموت مرةً ثانيةً ، وثالثةً ورابعةً ، حتى آخر رصاصةٍ من جعبةِ الرفيق المأسور بالشهادة ،

كفَّ ابراهيم أن يكون حرفاً مجزوماً في قاعدةِ اللغة العربية ،

أن يكونَ مكتظاً بأفراح بيروت الليلية ، أن يكون بين الأسماء وجع الحقيقة والصرخة الراحلة صوب **الهور** ، والانبهار المؤمم لرأس **سان جون بيرس** ، وهو يرثي البحر .

لقد جاء صيفٌ آخر يمنحُ للموت شرفَ التماسك : لم يعد الرفيق المموه بأقوالِ القادة ، شاهداً على سقوطِ النظرياتِ الوردية ، ولا الضـــوءَ المتسرب

المذبوحين ، غضبُ الوهمِ الداخلِ في ملحمة الوطنِ
الضوءِ
الموجة
المهرجان
الخسارة المنتظرة .

حمّلوني وردة الضحايا اليكَ وذكروني بنوايا البحرِ ، وبكوا عني عنـــد جثتي وأنا اتيتُ .. وقفتُ الى جسد الدلالات أقـــول وصوتي حداءٌ يتلوى يفارقهُ الحنينُ (انا رحلتُ في موتي وجئتُ انقشُ لوثتي على اعمـــدةِ النهار) بحثتُ يتبعني دمي تحيرتُ من غربـة نفسي وعرفت انهم قتلوني (مرة أخرى) وتابعوا نشيدي .

التجأت الى المساءِ صديقاً لا بدأ في الافقِ في الوعودِ وفي نهاية المراحـــل . قتلوني وما رضيتُ بقتلي ، وانتظرت هدايا الآسفين : وضعوني على نوافـذ الحكمةِ الملفقةِ ، دفعوني الى المدينة ، سقطت في وحدتي وقبلت بالكهف وبالرموز .

.. وحلمتُ اني وردة الضحايا واني بعث نفسي لحنين البحرِ ، اخـــذت معي شهودي وفي قبضةِ البحرِ اختفيتُ رسمتُ ، وانتِ وردةُ الضحايا ،

من الفجوة بين الآخرين والريبة ، وبين الريبة وصوته .

وفي ٢٤ نيسان ١٩٧٢ بدأ تطبيق نظريته الجديدة بالرســم على حرير الموت . صار ومضة الرصاصة ـ وصوت الانفجار . لم يعد حديقةَ الزّعـــل التي يرتادها الاصدقاء العراقيون . توزعَ في فعل الموت ، وتجمّع ـ فينـــا ، ماضي الطفولةِ ، وتجمّع ـ فينا ، ربيــع الجراح ، وتجمع ـ فينا ، انــــه ارتياد آخر لأفعالنا الناقصة .

أيها الموتُ النيسانيُّ المفاجىء المتجه صوب أماسينا ، علـّمنـــا كيف نحترم بياضَ التجربةِ وفعل الرصاصة وهواء الموت . علمنـــا أيها الموتُ النيساني الهـــادىء ، كيف نتجمّع نحن الموزعين في الشكوى ،وتجمّعْ ـ

سورَةَ العصرِ واحصيتُ القـــوافي .

اردتُ ان اقتسِمَ الوهْمَ والاشرعةَ المطيعة ، حفرتُ في البحرِ سيـــولَ رغبتي وثقتُ بالارادةِ الاخرى وبالمرايا وهي تَخدعُ الجسد وكنت أحكي لسيولِ البحرِ اسرار الجزُرِ واعطيها زمن الشمسِ الخجولة. وقلت لليوم الاول ان تستجيب لقامتي الشوارعُ وان تقتربَ ارضُ هذا الصخَبِ الضاحكِ أن : تتبعني الاقمارُ فيها وردةُ الضحايا وكنتُ ارغبُ ان امـــلي شروطي على الالهِ الغائبِ يهربُ يأخذ صمتي . يستفزُّ حنيني (وكنتُ أحنُّ) .

وكانت سيولُ البحرِ تريدني اقصُّ عليها البلايا وكنت قانعاً بالسامعين ، وكانت قامتي تمضي موزعةً تهدرُ في الصخَبِ الضاحـــكِ كنتُ اسرقُ فيضَ البَهْجةِ اخفيه لاصدقائي وكنتُ شبحاً يلفُّ العتمةَ السائلةَ ، يفشي للبيوت اسرارهُ المدهشـــةَ وكلمتُ ابـــعُ وحدتي ، اقولُ دمي ، اسمعُ همسَ المقصلةِ ، ارفعُ مثل طفلٍ عينيَّ أحضُنُ ساقَ الثورةِ أنشد ، مثـــلَ خدرِ الشمسِ ، لوعي وسجن روحي وبهجة اليقين .

أرتــبُ قمصاني ..

فينا حيث بين الثورة والسقوط رصاصة ، وبين النجاح والفشـل رصاصة ، وبين السفر والبقاء رصاصة .علمنا كيفَ يمكنُ أن يكونَ الموتُ تجربةً كالسباحةِ في هـــواء الحليب ، علمنـــا ان التجربة لا تقبل التكرار لانهـــا ستسقط في الاكذوبة . علمنا انها سيـــدة الأفعال قاطبةً ثم تجمّع فيناَ .

شريف الربيعي
(بغداد)

هوامش

ـ العمارة مدينة ابراهيم زاير في جنوب العراق حيث تكثر الاهوار ويزرع الرز والجوع .
ـ كان ابراهيم زاير مسحوراً بسان جون بيرس وهو يرثي البحر .
ـ قبل انتحاره بأيام قليلة جداً او بعد انتحاره بأيام قليلة جداً ستلد زوجـــة ابراهيم في بغداد ـ عاصمة العراق .

ومثلما غادرتُ (وكنتُ وردةَ الضحايا) وكنتُ أخفيتُ عنهم مجدَ امرأتي ،
حملتُ آيتي و(مثلكم) جئتُ ، وآيتي (وأنا أُبحر في ابصاركم) ، وآيــتي
واقولُ عرفتُ عــذاب الصفاتِ (يا قناعةَ موهوبةً) انادي وصوتي
وردةُ الضحايا أطوفُ تحرسني مِقْصلتي تفصِلُ عني جُثثَ الاحياءِ :
(قبضتي الاخيرة) ، وآيتي وانا انتظر البحر يمشي الى وعدهِ ويُنقِـــذني
وآيتي سحرٌ مولعٌ يعبثُ في عيني ينام عليها يُداريني ..
(والبحرُ مهرجانٌ يشيخُ والبحرُ جدٌ يبيــعُ الحِكَمَ القديمة) .

وأعرفُ ان مَللَ الضحايا طفا على الثورةِ والمرسلين ، دفعَ البحرَ الى الحزنْ
صَيَّرهُ لغةَ الوعود ، ومَللُ الضحايا موقدٌ ينهضُ في الوردةِ المغلقـــةِ
في كبرياءِ اليوم الاول في الاسماءِ في الوطنِ المثلومِ في الجثثِ المشعة
في الرأس
الذي
يحــلمُ
بالمقصلة .

ابراهيم زاير

قاسم حداد

نكهة الرعد

فجأةً صار انتصاري خشباً في النعش ، صار النعش بابْ
وتساءلت عن الموت / هل الريح طريقٌ ، والتراب
كيف ..؟ / هذا شجر الدهشة في ثوبيَ (هاجرتُ الثياب)
قلت من أين دمائي ؟
صوت هذا الشارع المزدان بالصحو ، وبالعنفِ (وغادرت الغياب)
وأنا في أول الحلم / استحلنا غضبا
سرنا وصرنا صرخة في غابة النـــوم
ابتدأنا في نهايات الوقوفْ .
تذكرون ؟
قلت هذي الرئة الأخرى لهم ، هــذا الرماد
تحته قنبلة موقوتةٌ ، هل تذكرون ؟
أعرف الايقاع ، أستنفر ،أعطي ، وأنا حلم العيون
(علمتني لغة البرق دخول العصف
والرقصَ وأعطتني الحنين)
أعطني ساعدك الدامي ، أنا الطفل وأنت الحلمة الملتهبه
شعبي المرتعش الملدوغ من كلّ الجهـــاتْ
أعطني كل أغانيّ ، وأعطيــك اللغات الهاربه
يا زمان الضحك والجوع أتينا
رافقتنا الجهة المختصره
وحديث الشجره
نحن من فاكهة الرعد وغصن الشمس ، نحن الثمره
(اسأل الأرض ولكن السماء
سقطت وانكسرت ، صارت دماء)

يعطر الظل نحيبــــاً في ضلوعي ، والبيوت
فرحٌ في أول العمر / جلسنا في جدار الوردة الحمراء
غازلنا تواريخ القيامه
وتبادلنا حمامه
ريشها اللون الذي لا ينتهي
بيتها في آخر الصيف ، وحدّ السيف بيــــتي
اشتعلنا (كذب العراف في القصر
وجاء الرعد من كوخٍ على ملح الخليج)

نحن في عشق العذارى والغصون
يا زمان القتــله
شاردٌ من زَهرِ الوالي وتقويم الخليفه
ـ هل تراقصنا وكنا جهله ؟

كنت لا أقرأ غير الرمــــل ، لا أعرف لوني
أعذريني ،خائفٌ من لغة الحزن عليـــــكِ
إشتعلنا ـ
عندنا نافذة للخوف / عندي لغة النار وصوتي رحلةٌ متصله
ينبغي أن نرقص الآن على الايقاع
أعطوا صوتـكم صوتي ، ونادوني الى العزف ، تعالوا
ينبغي أن نحسن الرقص على رسم القصور الزائله .
ألبس الشمس / اغتر بنا عنك يا أخبارنا / هل عانقوني ؟
فجأة أصبحت في الحلم / ولي غصن العصافير وعندي َكلمةُ السر

ترّجلنا عن الجسر القديم
دخلت أطرافنا في الضوءِ
وارتاحت / قتلنا مرة أخرى بــــلا جرمٍ
وأعطوا لحمنا للطير ، (هل رافقتموني ..؟)

وليكن قيديَ سجاني جنوني
خشباً للدفءِ ، هذي حلبة الرقص / ومن باب الجنون
تدخل الثورة أسمالاً وأطفالاً / لدينا ِكلِمْةَ في السر ..

أنـــتم

ولنكن سوسة هـــذا العصر / هذي المهزله
أرفضوا أن يضحك الطفل من الحزن
اخرجوا يا فرحةً مفتعله

(هل ستعطينا مخاضات الغراب
قمراً أو قنبله ؟)

حين صارت يدنا الجسر ــ عبرنا
واخترعنا لهجة يعرفها التاريخ، أصغوا ..
يكتب التاريخ صوتاً / لهبٌ صوتي / اتصلنا بجذور الغيم /
شادوا من عظام الناس أقفالاً / تطاولنا /
ترى هل أسكنونا الوردة المنفرده ؟
والزوايا البارده ؟

قلت : لمّا يجيءِ الوقتُ ، وجاء الوقت .. جاء

[تكدسوا في المداخل . اعتقلوا . اغتالوا . صدرت مراسيم الخوف .
واتكأ الحـكم على مقصلة . من يرتق الفتوق الكثيرة ؟]

عندنا خاتمة الرحلة / أمشي
معيَ الريح وعصف الجوع أمشي
جهتي قافيةٌ يكتبها الجمعُ ، يغني لحنها الأطفـــالُ
تمشي معنا الريح / هل الدهشة في ثوبيَ / هل في شجرِ العشق تجمّعنـــا / وهل
في ورق الوردِ ؟
(اشتعلنا ...
علّنا نستغفر الرغبـــة في الرقص ولغمِ الموت)
هَـــلْ ؟...

قاسم حداد
(البحرين ، نيسان (أبريل) ٩٧٢)

عبد الكريم شنينه

قصيدتان

I

وكان البرقَ ـ في أحشائه الأعشابُ والزلزالُ ـ صوتُ بلالْ
وحين احترّ في بدرٍ ، وأمطرت السيوفُ النصرَ طالت قامةُ الآياتْ
ومات اللاّتْ
وفي واد بلا زرعٍ ، اضاء جوانب الانقاض خبزٌ داجن حنّاءْ
فشعّ الماءْ
وطاف اللهُ في الصحراء ممتطياً خيول الفجر مـاءَ النهرْ

لماذا لا يزور النهرُ هذا العصرَ ؟ والانسان يُفلك في مدار الجوعِ ، يملأ جوفه
قيحاً ويزحن [1] ملحــه بالكوعِ ، يشربُ جرّةَ الاحزان ، يصغي ،
تهطل الاخبار مات النضرُ ، عاش النّضرْ [2]

لماذا لا يزور النهر هذا العصر ؟
لماذا لا أرى قمحاً ؟ لماذا لا أرى زنجاً ؟ لماذا لا أرى موجـــاً ؟ تُرى من قصّ
جذع الماءِ ؟ وجهُ الشمس مجدورٌ ، وقشر الضوء يسقط باهتاً منخورْ
أهذا السورْ ؟

تساءلت ، اين يقف الثور الذي يحمل الأرضَ ؟ انفصلتُ ـ أيحديق الحـــلمُ ،
سؤالي هجرة ، لغـــة جديدة ـ حاصرته مكة المعلقات الخرافات ، غار
حراء اول الدرب ، آخر الدنيا يثربٌ .

---

١) كلمة دارجة معناها يسحق .
٢) النضر بن الحارث .

والمسافات تمتدُّ تمتدُّ تمتدُّ تفضي إليها .

أعلم ان المجدورين يخطّطون لاغتيالي ؛ سؤالي فاصلة بين جملة وجملة ، ميــلاد الفضاء اللامتناهي ، سحابة ، كتابة سؤالي . قلت : خطبة بلال لانجيــلا دايفس لقاح ضد الجدري وضــد انقراض الخيول والعشب والمــاء . لست مشعوذاً يدعي قراءة الغيب أو شاعراً شيطانه ذكر وشيطان المجدورين أنثى . ولهذا أقول وأعلن على الملأ رسائل بلال وانجيــلا . الرسالة الأولى موضوعها حفلة الزفاف . المكان : اية بقعة تعاني أوجاع المخاض وعسراً في الولادة . الزمان : ساعة الصفر . المدعوون : سنبلة برية تنتعل الجذور ، بندقية ، وردة ، عصفورٌ . الرسالة الثانية : وموضوعها الحمل ، انجاب نهر واحد يغسل العــالم ويكنس شمس الأخ القاتل . الرسالة الثالثة : تقبل التهاني بعد انتقال العروسين من حمامات الدم وعلب السردين في بيتهما الزوجي ــ الكائن تحت القشرة المصابة بالعدوى ــ قرب الجذر والبذرة .

وكان البرقَ ــ في احشائه الاعشاب والزلزالُ ــ صوتُ بلال
وحين احــترَّ في بدر
وأمطرت السيوف النصر طالت قامــة الآياتْ
ومات اللاتْ

قل أبجديتي الحلم فاصلةٌ بين جملة وجملة ،سؤالي أنا الهجرة الكتابة .
(صيف ، ١٩٧١)

II - العصافير لم تعد تطاق

ما أزال حين تدق عنقي ، احمل رأسي المعصوب بالشاش الماطر وأرحل منتظراً ولادة العشب بين أصابعي . دائماً تفاجئني مدية القاتل ؛ تقطع حبل السرة وتصادر حقول الجبين واليدين .

٢

أتمدد فوق خارطة العالم قارة تغزوها الأظافر ؛ ابـدأ غزوي . زادي الدهشة وعينـــاك . أصرخ بجنون : الخيول لم تنقرض بعد . لماذا نسرج المقاعد ونتكوم جيفاً تحلم بالأكفان والحـلول ؟ كيف يأتي الطوفان ولم تكسر اختام الينابيـع ؟ صوتي موجة والآذان صخرة ملساء .

٣

هنا فرس يصهل وهناك آخر يخاطر (في المخاطرة جزء من النجاة [١])
ما أكثر الجياد . اين الفرسان ؟ أقول اين اللســـان ؟
ارى خرقة مبلولة بعسل الكلام وخلته . أرى عصفوراً يخرج من اغانيـــه الى فضـــاء الكلمة، يتنكب جناحيه يطير ، يطير ، يطير ، يقع في اقفاص الورق .

٤

اعلن بحزن : القلب مضخة تنكسر والجفن فوهة بركان .

٥

عاد السهم كما انطلق ، قال فرسان الميادين المفروشة :
ـ حسناً نقبل الدية . نفضل بنادق الصيد ، فالمصافير لم تعد تطاق .

عبد الكريم شنينه
(ربيع ، ١٩٧٢ طرابلس ، لبنان)

---

١) العبارة للنفري .

هنا الوردة .. هنا نرقص

ـ هنا ؟
ـ لا .

صباح كل يوم أنتظر ولادتي ـ لكي انزل الى الشارع وأثبت هويتي الحقيقية [1]ـ ولكن هذا لا يحدث . فانتظر ، ويدخل الشرطي بدوره من الباب الجانبي ، ويضربني كالعادة ثم يخرج .

اذن ..

وقوفاً .. ترمي المرأة (هي أمي على كل حال) على سريرها الخشبي . ننزع عنها ملابسها (بالقوة اذا اقتضى الامر) كل ملابسها ، ونفتح ساقيها ، بشدة . (طبعاً سوف تصرخ وتتألم وتفقد وعيها .. هذا لا يهم) يتمزق فرجها الضيق ، ومن الشروخ تخرج السوائل المنوية والزوائد المخاطية اللاصقة بالرحم .. عينان ، أنف ، ذقن ، وجه بشري . نمسك الرأس .. نجذبه ... وقوفاً .. هل الوجه أصفر شاحب كريه ذو نظارة طبية ، تغطيه افرازات ذباب (من الوصف يتضح ان الوجه المطلوب هو وجهي ، لا داعي للتفسير لانني اعتمد على ذكائكم) . اذا كان الجواب لا ، فانني سوف انتظر .

ومشينا أنا وصديقي [2] .

---

١) هذا يعني ان اسم «امين صالح» مزيف فعلا . وان شهادة الميلاد (١٩٤٩) ينتسب اليها أكثر من معتوه ودجال ومجرم حرب .

٢) أكون كاذباً لو قلت أنا وحبيبتي ، لأن حبيبتي كانت غائبة . لا لم تكن غائبة (ابحثوا عن ذلك الذي قال هذا زمن الاعترافات لكي اضع وساماً صدئاً على صدره) كانت غير موجودة رغم انها في الحلم غالباً ما تتجسد في صورة شجرة .

عندما ترون الشرطي قادماً لضربي كعادته كل يوم اطلب منكم ان تسدوا الباب وتعترضوا طريقه حتى أتمكن من الهرب من النافذة للقاء حبيبتي(١).

ومشينا . تشابكت أصابعنا .. قلت لها : احبك كثيراً . قالت وانا . وفي الحديقة العامة جلسنا والأطفال يدورون حولنا . يرقصون ويغنون . وكانت هي تضحك . اصبحت هي الضحك هي الفرح ، قامت كفراشة برية واخذت تدور حول نفسها ترقص منتشية . توقف الأطفال عن الرقص ولم تتوقف هي . نظروا اليها بحبّ واعجاب مثيرين . تعبوا ولم تتعب هي . ثم ذهبوا .

اقترحت عليها ان تتوقف عن الرقص فتوقفت ومشينا . لم تتشابك اصابعنا هذه المرة وكانت خطواتي سريعة (أعرف انها عادة سخيفة) لذا تمهلت هي . وعندما التفت خلفي رأيت ان هناك مسافة . اشرت عليها بأن تسرع ، وقبل ان تجيب ، تدحرج رأس دائري الشكل مفصول عن جسده بضربة سيف أو مقصلة (كان السؤال يسيل بلزوجة من الفم والعينين .. الآن لمحت الدهشة) صاح الرأس : ابتعدوا ، إنهم يقتلون العصافير وأوراق الشجر .

وابتعدت حبيبتي رغم انني اشرت عليها مرة أخرى بان تسرع . ولكنها ابتعدت وغابت ، بعد ان قالت : « جثة هنا ، هذا يعني ان شرطياً ما موجود في هذا المكان ».

*

بين السيف والرقبة ، عوت الحنجرة : «انا ورقة(٢)» .

---

١) في حلم ليلة امس لم تكن حبيبتي شجرة ، كانت امرأة . وقد اعربت عن رغبتها في التحدث إلي بعد ان سئمت من الدوران حولي وهي في صورة شجرة . ترددت في بادىء الامر وعندما ألحت تقمصت شخصية «ازرا باوند» وانشدت :

« لقد دخلت الشجرة يدي
وارتقت العصارة ذاتي
ونمت الشجرة في صدري
وتحت
تنمو الاغصان مني كالأذرع
شجرة أنت ».

٢) وانتم .. كيف تتصورون المنظر ؟ عليكم ان تختاروا : العصفور او الورقة ؟

(المشهد الخامس بعد الستين)

انا : (مواجهاً الجمهور ، لم انطق بحرف بعد . ذلك انه لم يمض على رفـــع الستار سوى لحظات قصيرة جداً . فجـــأة يندفع من الباب الجانبي شرطي يركل مؤخرتي ثم يجثم على ظهري ويصفع قفاي) .

أنا : (ما زلت في وضعي السابق ، أكاد اختنق) ماذا فعلت ؟

الشرطي: شتمت الحكومة .

أنا : لم انطق بعد !

الشرطي: ليس ضرورياً ان تنطق . للشتيمة الف منفذ .

*

هي : انت من ضمن الذين اشتركوا في الاضراب ؟

اغلقت النافذة بشدة. كان صوت شرطي (من الاحداث الروتينية التي صادفتني. اكتسبت حاسة تمييز الاصوات .. أصوات رجال الشرطة بالذات).

ـ يا وحيدي لا تسافر .

قالت أمي ، بعد ذلك اغرورقت عيناها بدموع حقيقية .

ـ الموت افترش الرصيف . تجشأ . تمدد . ولكنه لا ينام ابداً .

ما زالت تبكي (كان تفكيرها غالباً ما ينتهي بالبكاء ويبدأ ايضاً بالبكاء).

رددت بسذاجة :

ـ يا وحيدي ، لا تسافر .

(يا خوفي من ان تتحول الدموع الى نهر أغرق فيه).

(المشهد الثاني بعد السبعين)

أنا: (مواجهاً الجمهور ومكملا حديثاً سابقاً لم اقله بسبب تدخل الشرطي) والآن. هنا الوردة ، وهنا علينا ان نرقص . رقص جماعي ، لينهض الجميـــع. ا..

(يدخل الشرطي مسرعاً يغرز في عيني قنبلة مسيلة للدموع)

وفي الزنزانة رأيتها وهتفت بمرح : حبيبتي الشجرة / المرأة / ال..[1]

امين صالح

(٧٢/٤/٢٥ ، البحرين)

---

١) في هذه اللحظة دخل الشرطي والصحفي والسفير والملك و.. صمت ربما يخرجون.

هاني فحص

احذروا التعامل مع الغجر

I

ـ ما بال الغجري منذ الفجر يغني ؟
ـ شاع ان زوجته حبلى
ـ سمعت انها عاقر
ـ تبين أنه هو العقيم
ـ تفعلها هي إذن ؟
ـ تفعلها .
ـ وهو ألا يخجـــل ؟
ـ أين يمارس الخجـــل من لا أرض له ؟

رائحة الشواء تملأ أنفي ، تستفزني . اصطاد الغجري وحشاً .
سلكت اليه ، عتمة ، ليل شتوي مؤات ، وموعد الفجر بعيد ، قد لا يطلـع الفجر «وجعلنا الليل لباساً ، وجعلنا النهار معاشاً».

كان وجهه يتهلل بشراً ، لم يكتمني فرحته وهو يداعب وتر الربابة بحنـــو . عزفه الليلة احتفاء بالجنين ، هكذا قال ، وعانقت بسمته انطلاقـة النغم .

بدأ العزف عريضاً ، أخذ ينحدر ، يتكسر ، يتلوى ، يضج ، يخامره إيقاع بلون الفرح . (الجسر رامح ، يبحث عن ضفة يلج أرضها) . خلال سحابة من دخان ، خطرت تتلوى مثل خيزرانة . النداء في عينيها فائر ملح ، الريح مستمرة في عوائها ... أعمدة الخيمة تتساقط ، الواحد تلو الآخر ... في انتظار ان يسقط آخر عمود .

اهتزت الأرض كغربال واسع ، ماجت جدران الخيمة ، هوى آخر عمود ... قذف بربابته جانباً ، أدار ظهره متشاغلاً بتكويم الحطب اليابس ... وأعقب الريح المطر . (مطر ... توحل الدروب ... لا يهم ... مطر ... تتساقط أزهار الزيتون ... الى الجحيم) .

الغجري يؤجج النار .

أطعمت النار ثيابي . بجلدي صعدت ، تحطمت درجات السلّم . لانت عظامي ، كتلة لحم أصبحت ، أخذ اللحم يذوب ويتبخر .

(الخطّان المتوازيان تقوسا .. في لحظة تماس تاريخي) .

ـ عندما ينتهي موسم الرياح سوف نرحل

ـ تبقون

ـ أين ؟

ـ في أرضنا

ـ معلقين على مواسم الشهوة ؟

ـ شركاء

ـ إنك واحد

ـ يملك حق الرقاب

ـ ما أشهاك !

انفجرت العبوة ، حدثت في أحد القوسين ثغرة ، بدأ السقوط في الأعماق ، القوس الساقط تكور ، القوس الآخر تمطى ثم انغلق ، القوس الساقط في الداخل يرتعش ، القوس المنغلق ينفرج ، القوس المتكور يخرج فاقداً لونه وشكله .

(صمت ... صوت نازف محشرج : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ؟ »)

ـ فيم وجومك ؟ لم تعزف الليلة ؟
ـ أجهضت نفسها ، الخبيثة
ـ ربما لم ترد أن يكون لها ولد من غــــيرك
ـ وربما كان مني ... هكذا كل أولاد الفجر ، المهم ان يكون لنــــا أولاد.
يجب ان نتكاثر حتى لا تغري الوحوش قلتنا .

II

ـ ألم أقل لك ؟
ـ آن للمشرّد أن يضع عصا الترحال .
ـ لقد تغير طعمــــكِ !
ـ الحقول ملأى سمرةً ، السنابل تنضـــج عافية .
ـ وجهكِ مورد فاتن !
ـ ضوء القمر صافٍ الليلة ، نحن في أيار
ـ عيناكِ هادئتان ، فيهـــما شيء كإرهاص الشعر !
ـ ولّى فصل العواصف ، الأرض استقرت ، الربى تتحرك لتخرج ما تخبىء.
ـ لا أرى الربابة ؟
ـ صارت عصـــا معول
ـ وهو ، لا أراه ؟

... أشارت بيدها نحو مضارب الخيام ... رأيتـــه يزحف ، يكبر ، يتسع ، ترامت أطرافــــه ، غطى كل المسافات حولي .. كأنه سرب ذباب عظيم يتناسل في كل الأبعـــاد .

جذبتني بعنف نحو صدرها ، أغمضت عينيّ ريثما ...
واذا النار تحيل سمرة الحقول لون حداد ..

ـ رائحة شواء ؟ لحم آدمي !
ـ يا طويل العمر ، أين نحن الآن من هذا ؟ لقد قضي الأمر .

حدقت بتركيز أكثر ... كانت النار تلتهم القرية ، عادت لي نخوتي الأصيلة، صرخت بوجهها :

ـ لصوص بلا شرف

ـ اشتروا بشرفكم خبزاً بعد اليوم

ـ لن يطول بقاؤكم ، سنبيدكم

ـ من ؟ أنت ؟! خذْ

قذفت برجلها في صدري ، ألقتني جانباً ، اعتدلتْ تقهقه ، مدت لي لسانها.

ـ حذار ان تتأخر ثانية وإلا مزقوك .

أذكر : كان السيل عارماً ، ابتلع الأرض والناس والأشياء ، خرجتُ ، كان الدرب طويلا دائرياً ، وعراً ، موحشاً ، غاصاً بالأشلاء . «واذا أردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ».

هاني فحص
(جب شيث ، لبنان)

اشارات

١ ـ قصدت من هذه القصة أن أقدم ـ من خلال تجربة جرت لرجل شريف رفيع المكانة من سراة قومنا ـ موعظة لكل من يبتليه الله بحب الفجر ، فقيراً كان أو غنياً ، بلا فرق .

٢ ـ اشترط علي بطل الحادثة أن لا أذكر اسمه او ملامحه حتى تضيع التهمة ، وان أصر خلال حديثه معي على أنه لا أحد ممن هم بمنزلته لم يفعل مثلما فعل ، وهذا ما يريح ضميره .

٣ ـ الآيات التي ذيلت بها بعض الفقرات ، ارتأيت أنا اضافتها ، حتى تؤكد طابع الموعظة الذي توخيته .

فاضل عباس هادي

نفس رمادية النار بين السطور الموحشة

لا يتذكر كيف استسلم للنوم امس مساء . وقبل ان ينام قرر ان يستيقظ مبكراً . فلا بد له من ان يكتسب عادات الفجر ولا بد له من ان يكون على مواجهة دائمة مع النهار . « اي نهار تقصد ؛ واية يقظة تريد ؟ » لا يدري . ولماذا المواجهة ؟ وقد ادرك دائماً بأن ذاته شطران : شطر يبني وشطر يهدم ؛ شطر ييمّم صوب البحر وشطر يتخذ من اليابسة مرتعاً نديا لخطواته اليابسة . وكلا الشطرين دخان مسمم من هيروشيما حياته ينبعث والى هيروشيما حياته يعود . وغالباً ما يتساءل عن المعنى . وكان اذا توصل الى المعنى (حب امرأة مثلاً) تساءل عن معنى المعنى . ثم تتكدس المعاني اللامعاني على بعضها بائسة كغليون مهجور عند باقة من الورد جديدة . ولكن لماذا لا يخرج الى العالم بدلاً من أن ينكمش على ذاته ؟ ولكن ما هو العالم ! هل العالم هذه الجموع البشرية وتلك البنايات الجامدة أم هو تلك المرأة ذات القلب النابض والانتباه المهلك والملاحظة الآسرة . انه ليحس ، بعض الأحيان ، بالرغبة بأن يعتلي منبراً للخطابة عند تقاطع شارعين ويصرخ أن « لا خلاص لكم ايها البشر إلا بالكرنفالات الحقيقية » ثم يستدرك : «ومن يقول إنهم يريدون الخلاص ؟ إنما انت وحدك المتورط الملتبس الملوث بطاعون الوعي المبتلى بفكر استمنائي يعبر القارات . وانما انت وحدك الذي لا تريد استدراج ذاتك الى لعبة الفرضيات الخداعة حيث ارجوحة الحياة الرتيبة وبرنامجها المفرغ المرسوم سلفاً . هـه ! انه يفكر بذاته كما لو أنها كيان مستقل يستطيع التداول معه في شؤون العمل ودرجات النجاح . ذاتك هي انت ايها البائس الذي يريد اخفاء بؤسه الروحي

بالمظهر التنكري الذي حتمتــه عليه الاعراف . ان القلب ليتمزق ويتوجـع واليدين تتشنجان ممانعة كلما يتذكر الوجود ؛ وجوده على الأرض ووجـود الآخرين « غداً يفوت الأوان ايها العدمي البائس » :

ـ وماذا استطيـع ان افعل لأمنع جريان الزمن وانتهاك المستقبل ؟

ـ ولكن تذكر بأنك في هذا اليوم وفي هذه اللحظة وفي هذا المكان صممت على ان لا تندم على مرور المقبل من السنين والأيام وانك في هذا اليوم وفي هذه اللحظـة من حاضرك مقتنع بأنه ما من شيء يمكن ان تقوم به لتلأم جرح الزمن وتكفكف دموع الاحلام . آه للاحلام . آه للجزر التي لم نطأها وللبحار التي لم نشرب من مائها ولم نركع امام غضبها وزبدها. آه للنساء الجميلات اللواتي صادقناهن ولم نأكلهن هياماً او نفعل ما من شأنه تكريسهن للحاضر البشري ولا شيء غير الحاضر البشري بكل انخطاف لونه وانبجاس دمه .

عندما استيقظ من النوم كان النهار قد انتصف وتسلقت الظهيرة أرجـل النهار . وقد قرر في هذا اليوم ان يفعل شيئاً جديداً ، شيئاً استثنائياً كأن يذهب اليها ويبادرها بالقول :

ـ هل انتهى كل شيء حقـاً ؟

(قبل شهر تقريباً اخبرته بأنها ستجيء حسب الموعد . وقـد انتظرها طويلاً وتنقلت عيناه بين وجوه المارة حتى جفت وتهدّجت وابيضّت . عندما تلفن لها في اليوم التالي قالت له ان لا فائدة من اللقاء مرة جديدة . وعندمـا ذهب وقابلها وجهاً لوجه كانت مرحة على عادتها لولا ذلك الشحوب الذي هدّ حيله . فقال بعد ان استجمع كل ما في كيانه من غائية وهدفية ايجابية :

ـ سبب واحد لعدم مجيئك وسأختفي من حياتك الى الأبد .

ـ لم تدخل حياتي حتى تختفي منها . انك لمضحك .

كان اعتبارها له مضحكاً مما حز في نفسه . أيبدو مضحكاً بعد كل هـذا الوله وكل هذا التعلّق الدانتوي ببياتريشا حياته . فنظر اليها وتركها بكبرياء وبلا مبالاة ليست من خصاله بشيء وان يشعر بضرورتها لمواجهة عالم كاسـح في لامبالاته .

بعد هذا بدت له المدينة عدوانية في لامبالاتها التقليدية وأخذ يفكر بصيغ النبذ والمنبوذين . واخـذ يعقد مقارنات مأساوية بين خواء القلب وكثافة الاشجار ؛ بين الكراسي والناس الذين يجلسون عليها ؛ بين ليالي الأرق العقيمة والصباحات التي يستيقظ فيها من النوم آلة معطلة ووهماً شاحباً . الا انه قرر ان يفعل شيئاً استثنائياً هذا اليوم . بعد ان تناول قليلا من زيت كبد الحوت واغتسل ، نظر الى وجهه في المرآة . قـال له صديق ما بأن لوجهه شحوب الانبياء . وقال له آخر « ان شحوبك رومانتيكي ! » . إلا أنه من كـثرة ما حدق بالمرآة نسيَ ملامح وجهه فلم يعد يعرف كيف يحكم عليه وان كان يفضل انعكاس الضوء على المرايا التي يرى بهـا وجهه من مساقط معينة . فلا يطمئن الى نفسه حتى يرى وجهه على شيء من الجمال . وبيـنما كان في وقت ما يبحث عن مرايا متحيزة الى جانبه أخذ يبحث عن مرآة محايدة فالوجه كما يقولون مرآة النفس . ثم تحول بذهنه الى الداخل واخذ يعقلن المسألة على ضوء الواقع المعاش. وأخذ يحث نفسه : «ليست المسألة مسألة وسامة ايها الابله . انها مسألة إقـدام وخروج من لجلجة الذات والذات اللجوجة والتصرف بثقة ورسم خط حيـاتي يتجه الى الأمام ابداً وعـدم التفكير بالجثث المتساقطة على جانبي الطريق .» وغالباً ما يتصور البشر مجموعتين ـ الذين جلسوا من الاعياء على الرصيف غـير مكترثين بالآخرين والذين ما زالوا يتابعون الطريق : الرجل الجالس والرجـل الماشي ـ وما من فرق كبير بين الاثنين الا بحركة الثاني العبثية .

بعد أن غسل وجهه ود لو يبقي على قطرات الماء على وجهه . انها جميـلة وتضيف اليه شيئاً خاصاً . الا انه بعـد ان سرّح شعره على عجل حث نفسه : « اقطع هذه المنولوجات العقيمة واخرج الى العالم . فما من أحد يحتكر العالم ». تذكر ، عند هذا ، الحشود البشرية وهي تتزاحم جيئة وذهاباً . سيكون بينهم واحداً مثلهم . انقبض قلبه وانكمش . « يبدو انك لا تريد ان تكـون واحـداً منهم !» موقف فلسفي ام تبرير جاهز للتقاعس ؟ «كان سويفت يكره البشر ويحب البشريـة : كره البشر عندما يكونون واقعاً ملموسـاً والتعاطف مع البشرية عندما يفكر بها كرمز غير قابل للتجسّد . اللغـة المثالية نفسها . وباء التعالي نفسه : تفضيل المثل الرمزية على الملموسات الحسية .

عند هذا كان قد ارتدى ملابس العالم الفسيح . بعد ان نظر الى هندامه

على عجل وحدق بوجهه بنظرات المستنطق القانوني او هاوي اللوحات الفنية قبل الشراء توصل الى انه على جانب لا بأس به من الوسامة وأن عليه ان يأخذ العالم على ما هو عليه لا كما ينبغي ان يكون وان عليه ان يشارك الناس اهتماماتهم لا أن يفرض عليهم اهتماماته . « ولكن ما هي اهتماماتها ؟ وكيف لي ان أعرف ؟ »

بعد ان تناول الفطور وغسل فمه ويديه تابع طريقه . قدم تقوده اليها وقدم تدعوه الى المكتبة العامة . وقد انصاع للنداء الثاني : « لتذهب الى الجحيم . انها لا تساوي شيئاً . ثم إن الجنس متوفر في المواخير . وهل تريد شيئاً آخر غير اشباع جوعك الجنسي ؟ كن صادقاً مع نفسك . » نعم انه يريد شيئاً آخر غير اشباع جوعه الجنسي . يريد اللمسة الانسانية والرفقة الذكية . يريد لنصف التفاحة الآدمية ان يكتمل . يريد لهذا النتوء ان يملأ ذلك التقعر . يريد دفن كل الثقوب . فهو لا يطيق الفراغ وتصوره للعالم ما يزال غبشياً . وكثيراً ما يضبط نفسه وقد تلبست بجريمة اللارادة . « كيف لك ان تحيا بدون ان تريد وكيف تريد بدون ان تفعل ؟ » الا انه لا يريد ان يفعل أي شيء . ويبدو له الفعل تجاوزاً أحمق على تجانسه الداخلي وخروجاً أخرق على الذات يبعثرها ويكسر سكينتها الباطنية . ومن جديد عادت الى ذهنه العبارة المريرة « غداً يفوت الأوان ايها العدمي البائس » فدفن نفسه الرمادية النار بين السطور الموحشة .

فاضل عباس هادي
(بغداد)

دفتر افكار

جليل القيسي

الكتابة وتجاوز الواقع

(لقاء بين جليل القيسي وجلال حسين ورده)

* البداية متى كانت وكيف ؟

ـ في عام ١٩٥٩ التقيت مصادفة بدوستويفسكي في « الزوج الخالد ». اقتنعت رغم بعدي المطلق عن عالم الكتب بأن ثمة عوالم جميلة ومخيفة يمكن أن نعثر عليها في الكتب . والتقيت بخورخي أمادو في « أرض ثمارها من ذهب » .. ثم بشتاينبك في « عناقيد الغضب » . وأحسست برغبة ملحة في الكتابة . كنت لا اجيد اللغة العربية قدر اجادتي اللغة الانكليزية لتركي الدراسة . وتشبثت اخيراً باللغة العربية عندما التقيت بأنور الغساني ، وطلبت منه أن يترجم لي مسرحية من فصل واحد كتبتها باللغة الانكليزية . بعد نقاش طويل أقنعني ان أتعلم العربية .. هجرت اللغة الانكليزية وانكببت على قراءة الكتب المترجمة الى العربية ، وبعض الروايات العربية .

* قصصك ، هل تصمّم لها مسبقاً أم تبدأ بنواة صغيرة لفكرة أو تجربة ؟

ـ لم يحدث قط ان فكرت وصمّمت لقصة من قصصي . فجأة تنبجس في أعماقي رغبة حادة ، وملحة للكتابة من رؤية منظر ، وجه ، طير ، شارع ، عيون ، حشرة ، سمكة ، طفل .. وفي عملية الكتابة اكتشف كم كان للشيء من هذه الأشياء امتداد عميق لتجربة خضتها في حينه .

* اذن فانك تنفعل أولاً عندما تبدأ بالكتابة ولا تكون مهيّأً فكرياً ، لكن هل ثمة وقت ملائم لتكتب فيه ؟

ـ لم أتعلم الكتابة في أوقات معينة . صباحاً عند همنغواي ، اثناء تكاثف الضباب عند

أبسن ، او في المساء عند النافذة ليلا مثل هوغو ، او في الثانية بعد منتصف الليل مثل فاضل العزاوي ومؤيد الراوي . أنفعل فجأة .. أتريث مع انفعالي لمجرد التأكد من فورانه ، وعندما اجد نفسي قلقاً ولا استطيع السيطرة على نفسي ، أبدأ بالكتابة مباشرة ؛ لذا كتبت على سبيل المثال القصص التالية في جو الدائرة الصاخب : هو ! هي ! هو ! الضفـة الاخرى من البحر ، معسكر الاعتقال الصحراوي ، سفرة الجسد الاخيرة .

* هل ان عملية الكتابة المبدعة في حد ذاتها تحمل الانسان الى عتبة المستقبل ، باعتبارهـا عملية كشف وتوغل واختراق في الذات والعالم ؟

ـ الكتابة محاولة لضغط العالم وتسليط مجهر ضخم عليه كي يتمكن القـارىء من التعرف على أكبر عدد ممكن من سلبياته وايجابياته ، ولأن الكاتب بقدرة مخيلتـه ، وثقافته ، وكشوفاته ، وفهمه للعصر ، وحدسه العميق للمجهول ، المجهول الذي يأتي لكن ببطء ، يمكنه أن يؤكـد للانسان انه ليس قاحلا ، وانما هو كل شيء في هذا العالم .

* اثناء الكتابة هل تشارك اللغة في عملية الكشف أم تكون مجرد أداة للنقل ؟

ـ اذا كانت الكلمة مأوى الشاعر كما يقول هولدرلن ، فهي ليست مأوى القاص ، او الروائي . صحيح ان اللغة هي واحدة من العُدد الحساسة بين عدد القاص الكثيرة ، بها ينقل أفـكاره ، مشاعره ، انفعالاته ، آلامه .. الخ ولكي يعرف الكاتب كيف يقاتل بكلمته يحتاج بالتأكيد الى لغة تتجاوز بجدة موسيّة لغة الحياة اليومية الميكانيكية . لا يمكن ان يكون ثمة كشف فكري جديد بدون لغة جديدة .. فاللغة حتماً تشارك في الكشف .

* غالباً ما تجيء لغتك القصصية متيبسة ، حادة ، وجافة .. هل ذلـك بسبب افتقارك الى الحرارة الشعرية ، ام ان اللغـة هنا تتكيّف مع الاغتراب والاحباط والقهر ـ الذاتي والاجتماعي ؟

ـ علاقتي مع الأدب لا تتجاوز عشر سنوات . فيها عملت على جبهات متعددة لاكتشـاف امكاناتي . عشر سنوات ، لا شيء في عالم يحتاج الى الكثير من الاحتراق .. لا شك ان حرماني من الدراسة ، وتعرفي المتأخر باللغة ، وصعوبة اللغة نفسـها خلقت عند تعاملي معها اشكالات كثيرة ... لكنني بالمران والعناد والقراءة المتواصلة تغلبت على الكثير من المشاكل . أما سبب تيبس لغتي فهو في الحقيقـة جفاف مضامين قصصي ، وتكيفها مع الاحباط والاغتراب والقهر الذاتي والاجتماعي..ومع انني لا أقرأ الشعر كثيراً ،فإنني أكتب بشاعرية عندما اطرق موضوعات شفافة ، مثلا : الجبهة صامتة الآن .. صفحات من قصة الطيور المهاجرة غرباً ، تأخرت ، وقصة سافروا مع طيـور البحر ؛ ولغتي الشاعرية في بعض مسرحياتي . الحقيقة ان لغة الشعر في الاعمال القصصية والروائية تحتـاج الى الكثير من الحذر ، والدقة ، لان اي مبالغة ، او سوء استعمال تؤدي الى قتل العمل .

* المقولات الفكرية الجاهزة ـ التي تطالعنا في اغلبية قصصك ومسرحياتك ـ ألا تعيـق

النمو التلقائي في القصة او المسرحية ، ثم ألا تقود الى لغة تقريرية خطابية وبالتالى ألا تقف عائقة امام تلقي القارىء الاعتيادي ؟

ـ لا توجد مقولات فكرية جاهزة .. انها جمل تنبثق من شـدة معاناة ، وآلام ، وعمق فهم بطل القصة عند اصطدامه مع واقع تجاربه ، وهي على العكس لا تعيق النمو التلقائي للقصـة ، وانما تؤدي الى تكثيف العمل الفني .. ان خلو القصة العربية من عمـق فكري هو الذي يثير أسئلة كهذه . ان لغة النثر هي لغة المنطق عكس الشعر تمامـاً .. قد تقبل المقولات الفكرية القصيدة ، واسأل بدوري ، هل تنتقص الجـمل الفكرية الكثيرة في روايات مثل : الغريب ، الغثيان ، الجحيم ، بريد الجنوب ، مزيفو النقود . ولكن قد تبـدو المقولات الفكرية جوفاء ، وعقيمة عندما يسيء الكاتب استعمالها .

* هل نفهم من قلة الحوار في قصصك بأن ثمة على الدوام انفصاماً وعجزاً في الاتصال بـين شخوصك ، أم ان الصمت ـ كموقف ـ يكون دائماً أصدق من الكلام . أضيف ، ولو ان الحوار في القصة ليس كما هو في المسرح ، هل ان طغيان المنولوج الداخلي في قصصك معناه كثافة الصراع الداخلي عند شخوصك ؟

ـ في الحقيقة ان ازمة ومعاناة معظم أبطالي من العمق بحيث كثيراً ما يجدون ان اللغة أعجز من ان تضيف كشفاً جديداً لها (اي الازمة والمعاناة) .. فيتحول صمتهم احياناً الى لغة كثيفة .. ثم يأتي الرمز ليحل محل اللغة ، او ينقلب الحوار الى مونولوج داخلي عميق ، وهـو ضرب أعمق من الحـوار مع كائن آخر .. نحن مثلا نتعرف على أعمق دهاليز همك النفسية ، ومكبث عندما يخاطبان نفسيهما .

* نادراً ما تنتقل من الضمير الاول (أنا) في قصصك ، الى الضمير الثالث (هو) ، اي انك تستعمل ضمير المتكلم كثيراً ، هل يدل ذلك على ان (الانا) عندك مركز للعالم ، ام ماذا ؟

ـ نعم ، (الانا) عبر عذاباته الثائرة هو مركز العالم .

* في قصصك تحطم منطق الزمن الاعتيادي (البداية ، الوسط ، النهاية) هل لأنـك تؤمن بالنسبيـة حيث الزمن العام يمتد ويتدفق ولا يتوقف ابداً ؟ وهل لعلاقته (أقصد الزمن) بسيكولوجية شخوصك ؟ وهل للزمن عندك وجود موضوعي مستقل ؟ ام ان الوجود يتضمنه في وحدة جدلية مع المكان كبعد رابع للاشياء ؟

ـ يقول كروتشه ان الفـن هو طريقة للاستحواذ على العالم .. ولا يمكن الاستحواذ على هذا العالم الا عبر النفاذ الى شواطىء المستقبل ، لذا احاول عبر فهم جيد للزمن الموضوعي ، الولوج الى الزمن التدفق المتـد ، الزمن الذي تسحبه ملايين الخيول المنقائية .. لم يحدث قط ان آمنت بالزمن الاعتيادي في عملية الخلق ، لا اؤمن بالبداية والوسط والنهـاية في الزمن .. ان الوجود كما ذكرت انت يتضمن الزمن عندي في وحدة جدليـة .

* اكثر شخوصك هم دون أسماء ، هل يعني ان بالامكان ان يحيوا في كل زمان ومكان ، ولأن

مواقفهم انسانية شاملة ؟ وخاصة بعد تحطيمك للزمان والمكان الاعتياديين ؟

ـ ماذا يعني موت عمل فني بعد سنوات ؟ لماذا يموت ؟ كيف يمكن الجري في الزمن العام .. في الصيرورة اللامتناهية .. اللانهاية الحقيقية .. كيف يمكنني ان اكتب اشياء لا تموت ؟ طالما ليس ثمة ديكور ثابت في خلفية كل أعمالي، طالما ليس هناك مكان ثابت ، واسم معين، اريد وهذا حلمي ، ان يكون بوسع أبطالي الاجابة عن الكثير من الاسئلة الانسانية عبر الزمن الممتد والازلي . وطالما امتلك مخيلة موسيّة الحدة .. سأحاول .

* هل ان خيبة أبطالك أزلية مثل ابطال كافكا ، كامو، بيكيت وكتاب العبث واللاجدوى غيرهم ، حيث ان الاغتراب عندهم ظاهرة أزلية غير قابلة للتغيير ولا يمكن تخطيها ؟ ام ان الخيبة عند أبطالك مرحلية وانتقالية ؟ فاذا كانوا كأبطال الكتاب المذكورين فهم اذن مجرد حيوانات تعيش خارج الزمن اي لا تاريخية ـ ؟

ـ أعتقد ان اي قارىء منصف ، وهادىء ، ومتفهم بشكل جيد لكتاباتي يمكن بوضوح ان يقول ، ان الاغتراب عندي ليس ظاهرة ازلية ، وغير قابلة للتغيير . انني بصراحة لم اقرأ نقداً واحداً ما عدا ما كتبه الناقد السوري منير العكش ، اقول لم اقرأ ما يشف منه فهم عادي جداً لقصصي . ان جميع الكتاب الذين ذكرتهم بالتأكيد تنقصهم الثقافة الماركسية . واذا فرضنا جدلاً أنها لا تنقصهم فهي لم تؤثر فيهم مطلقاً بدليل نتاجاتهم الفكرية . ان الاحساس بالاغتراب عند أبطالي ، ومحاولة فهمهم له ، يدفعهم الى نضال وحشي من اجل ازالته لاكتشاف محطات راحاتهم الحقيقية .. وهم دائماً شهداء العراقيل ، والحواجز ، والقوى التي تقف امام كشوفاتهم . فهم دائماً الاكثر خسارة من اجل مثلهم ، في حين يستسلم ابطال الكتاب الذين ذكرتهم برضى او خنوع عند اول عقبة .. إبحث عن بطل من ابطال قصصي في المواقف المصيرية الجدية وهو لا يموت من اجل اكتشاف نفسه .. أجل ، انه بطل يعيش خارج الزمن لكنه يـدرك الزمن جيداً ، وهو لا تاريخي لان التاريخ جامد !

* في معظم قصصك لا نجد صلة عفوية بين الرمز والواقع ، وهذا ما يسبب عسراً واشكالاً في التعامل مع تلك القصص ، هل يحدث ذلك بسبب من انك تختلق تلك الرموز لطرح مواقف فكرية صممت لها مسبقاً ؟

ـ انني في الحقيقة اكره المقابلات ، والاجابة عن الاسئلة .. لأنني اولاً كاتب ولست ناقداً .. ان مهمة الاجابة عن اسئلة كهذه من مهمة النقاد .. ألا يكفي الخلق الذي يكلف الكثير من الشقاء كما يقول همنغواي .

انني لم أقتنع بشكل القصص التي وجدتها في العالم العربي . صعّدت القصة الى عالم الشعر ، والشعر حافل بالرموز .. الرمز كما يقول غارودي هو لغة المطالبة ، لا يكشف لنا عن حضور، بل عن غياب ، عن نقص ، عن فراغ يدعو الى ملئه .. ولا يأتي الرمز اعتباطاً ، او لمجرد فكرة فنتازية ، انما يأتي من كثافة مضمون العمل الفني .. ان رموز قصصي ليست سهلة لان النقص الذي أوكد عليه معقد ويحتاج الى وعي لادراك جوانبه . انظر الى غريغوري سامسا الذي قلبه كافكا الى حشرة . كتبت عشرات بل مئات المقالات عن هذه الشخصية وكل مقالة

كانت مجرد محاولة للتعرف الى سبب المسخ . كان غريغوري يطالب بحقه الانساني .. عن ذلك الغياب والنقص .. والمشكلة مع الكاتب وصلت حداً من التعقيد بحيث حول البطل الى حشرة وراح يصفه بدقة عالم مختص في الحشرات . اين الصلة العفوية مع الواقع ؟ لكن مع ذلك ان كافكا أقنعنا . الرمز الحقيقي مثل اللامرئي يجب اكتشافه .

* مفهومك عن الجنس ما هو ولماذا يندر طرحه في قصصك ؟

ـ ظلت المرأة عندي تلك الشرقية البائسة والمهجورة في دهاليز الغرف . كل الظروف والاشكالات الفكرية البدوية ، والاخلاقية ، والدينية جعلت منها كينونة لا تفهم اي شيء عن نفسها .. وهي تحتاج الى ردح طويل من الزمن كي تفهم جسدها ، وعواطفها وامكاناتها .. انها كذات لم تشعر بوجودها لأنها لم تعط الفرصة مطلقاً لتغالب قيود أوضاعها الاجتماعية والانسانية، من هنا لم تشغل ولو حيزاً صغيراً في ذهني .. ثم كنت منذ صغري بعيداً عنها .. مع ذلك فإن القصص التي كتبتها عنها أشك ان تتقبلها اي مجلة عربية .

* أعرف انك تحب الشعراء رامبو ، بليك ، ريلكه ، اودن. ترى هل أحببتهم من سيرهم الشخصية ام من اشعارهم ، ام من الاثنين معاً ؟

ـ لا اعرف عن حياة الشعراء الذين ذكرتهم الكثير باستثناء رامبو . شعر رامبو هزني . وما زلت لا اصدق نفسي انه كتب جميع تلك الاشعار في سن يبدأ الانسان فيها بالتساؤل الاولي . حتى حياته المأساوية القصيرة كانت بنفس عنف وروعة ودموية قصائده .

فاذا كنت لا أغفر لهذا العبقري فترة تعاطيه ببيع وشراء العبيد من تاريخ حياته الحافلة ، فانني اعتقد انه تصرف مع عصره بكثير من الاباء والعظمة . في كل شيء قام به رامبو اراد ان يغتصب العالم . اما بقية الشعراء فأحبهم كشعراء ، خاصة بليك ، كثيراً ما اقف امام بيت شعر له بخشوع من يصلي .

* من حيث المبدأ هل تلتقي مع السرياليين ؟ وهل ثمة تأثير مباشر لكافكا عليك ، ام ان ثمة معاناة تسببها ظروفك التي هي مثل ظروفه ؟

ـ التقي في اشياء كثيرة مع السرياليين ، لكن ليس على طريقة ان احسن قصيدة هي ان تمسك مسدساً بيدك وتطلق النار في الشارع .. التقي مع معظم شروحات تزارا ، واراغون ، وايلوار في فهم السريالية .

كافكا ؟ قد لا يصدقني احد .. لكني اقول للحقيقة فقط ، بأنني كتبت مجموعتي القصصية الأولى ونشرتها وانا لم اقرأ لكافكا سوى «المسخ» و«معسكر التعذيب» . وبعد سنة من صدور مجموعتي قرأت «القضية» ، و«القلعة» ، و«امريكا» وقصص اخرى .. اقول هذا لمجرد الحقيقة .. اما لماذا جاءت كتاباتي متشابهة ، فلأنني عشت ظروفاً اسوأ بكثير من ظروفه .

* اذا كان لا بد من ارضية ايديولوجية لكتاباتك ، الست تنتمي الى اليسار الجديد الغاضب ؟

ـ اعتقد ان مسرحية جيفارا عاد ، افتحوا الابواب فيها الكثير من حبي لليسار الغاضب ، وكذلك الصحفي في مسرحية : سقطوا في رائحة الظلمة .

* بطلك الرئيسي والذي يتكرر في قصصك هو اللامنتمي المغترب ـ وهو ايجابي ـ بدليل انه يتحدى بيئتـه التي هي سبب اغترابه الذاتي والاجتماعي . هل معنى هذا انه يتخطى الخلاص الميتافيزيقي الى خلاص آخر اكثر ضماناً ؟

ـ أجبت سابقاً بشكل سريـع عن هذا السؤال ، بالتأكيـد انه اللامنتمي الايجابي ، وهو يعرف الكثيـر عن لا جدوى الخلاص الميتافيزيقي . من هنا ان صراعه حاد ، وعنيف ، وغير متهادن ، وانتحاري من اجل خلاص آخر اكثر ضماناً . لا يهمه ان يتحطم طالما يبحث عما هو مفقود .

* مجموعتك المسرحية : جيفارا عاد افتحوا الأبواب التي اصدرتها اخيراً ، تتخطى مجموعتك القصصية (صهيل المارة حول العالم) تخطياً مذهلاً . هل ان المجال ارحب في المسرحية لتحرك بطلك الذي شخصناه والذي اقتصرت عليه في قصصك بشكل كاد ان يقودك الى طريق مسدود ـ بسبب من انه كان يتكرر مع بعض الاختلاف في الموقف والملامـح ـ وارى انك تحررت في المسرحيات وتطورت فماذا تقول أنت ؟

ـ ربما مضامين المسرحيات لم تكن تصلح نهائياً كقصص .. جيفارا ، نجنسكي . طبعاً كان يجب ان اتجاوز نفسي ككاتب .. لا اظن ان المسرح ارحب .. لكل ميزاته وامكاناته .

* في رأيك هل استطاع القاص العربي ان يطرح رؤيا حضارية معاصرة ، وهل حققت القصة العربية الحديثة قيماً جمالية جديدة ؟

ـ الذي اعرفه من خلال النماذج التي قرأتها لزملائي الكتاب في العراق ، والكتاب العرب على صفحات المجلات الأدبية ، وفي مجموعات ، ان ثمة محاولة رائعة وجادة من الشباب بالذات لتفجير الأطر الضيقة والفقيرة للكتابات السابقة ، وايجاد شكل ومضمون جديدين ، وتجسيـد قدرات الانسان العربي ، وتوقه لتجاوز واقعه الاجتماعي السكوني ، والبدوي المتخلف .. وثمة عناد غير مهادن للبحث وبشوق لاعج عن رؤية حضارية ، وقيم جمالية جديدة يؤججها الاكثرية .

جلال حسين ورده
(كركوك ، العراق)

صافي ناز كاظم

١ - «أ با تا ثا جـو حـن خ د ذال رُزّن»

أتصور هذا الحوار الطريف بين اثنين :

- أنا أرفض رجال الفضاء .

- لماذا ؟

- لانهم يركبون «مركبة» لم يتعارف عليها أحد إلا قلة من العلماء الذين حولهم.

- لكن ظروف التجربة التي يقومون بها وهدفهم للوصول الى القمر واكتشاف مجاهل الفضاء يحتم عليهم ان يصنعوا «مركبة» مختلفة صممت خصيصاً لـكي تساعد في نجاح مهمتهم وبالتـالي خدمة الانسانية .

- بلا هوسه ، هذه المركبة التي يتفلسفون ويسمونها مركبة الفضاء او مركبة المستقبل ليست جميلة ولا منطقية .

- ماذا تعني ؟

- هذه المركبة لا تخضع للشكل المعترف عليه للعربات وهذه خيانة للتراث والتقاليد المصونة . ثم انا لا افهم هذه الفلسفة الفاضية لرواد الفضاء ، يقودون مركبة للفضاء ولو بحثت لوجدت ان واحداً منهم لم يحاول في حياته ان يسوق عربة حنطور .

شوف : لـكي تركب مركبة للفضاء عليـك اولاً ان تبلغ القمة في قيادة الحناطير ومن قبلها «الركشا» .

- الركشا ؟

- نعم هذه العربة التي يوضع فيها انسان مكان الدابة ليجرها بينما يتنزه فيها السـادة والسيـدات .

*

طبعاً لو حـدث هذا الحوار كما تصورته طبق الاصل لسارعنا جميعاً بلعن غباء هذا الاحمق الذي يريد لرائد الفضاء ان يكون هو ذاته اولاً سائق حنطور .

لكن : لماذا نلعن غباء هذا الأحمق ؟

لو نفكر قليلاً . لو حاولنا ان نحلل رفضنا لمنطقه المتخلف الأبله ، لوجدنا ان امامنا أمثلة

مطابقة لهذا النموذج ، تقابلنا دائماً في حياتنا الفنية والادبية والفكرية ، ونطالع مثل ذلك المنطق العبيط فيما يخرجون به على الناس في الصحف ومجالاتهم الاخرى ، وللأسف لا نتصدى له بالرفض الكافي ، بل على العكس يكاد الرافض لهم ، ان يقتل او يذبح ويصور على انه : مجنون وعاق ومُجرّح .

نعم - يا سادة - ما يزال بيننا من يعتقد ان الجنس البشري مثل الفيران ، يكرر تجاربه حرفياً بدلاً من أن يواصل البناء التصاعدي للتقدم الانساني .

(- ملحوظة اعتراضية : هناك ايضاً من يعتقد ان «الجديد» هو ان تنسخ البالي في ورق جديد وكفى الله المتكتبين شر الجدال -)

البناء التصاعدي للتقدم الانساني من طبيعته وحتميته ان يعتمد على حصيلة تجربة سابقة ليمارس خوض تجارب جديدة .

هذه الطبيعة البسيطة الواضحة ما نزال في حياتنا الفنية والفكرية والادبية نناقش بداهتها : ما زالت تعلو بيننا الاصوات المتخلفة التي تطالب الرواد المجددين ان يتركوا البحث في الجديد - ذلك البحث من اجل ان تستعيد الحقائق فاعليتها ورونقها - وما زال هناك الحصار لكي تفرض سبل الفن القديمة والبالية ، وتخيم البلادة على الاصوات ، ويجفف الركود كل ينابيع الحياة والخضرة ، وحاول ان تقاوم - ايها المتمرد بطبيعتك - سوف تشكك في حواسك : سوف يجتمعون حولك ويتفقون على ان هذه الشمس المضيئة التي تراها ما هي الا ديجور الليل البهيم .

الاختيار هو : بين ان يشهر بك على انك مجنون وتوضع في القميص الكتافي لربط ذراعيك خلف ظهرك ، وبين ان تتوقف نهائياً عن «خصلة» الصدق ، وتتعلم ان تكذب وتصنع فنياً وأدبياً وفكرياً ما لا تحسه وما لا يعبر عنك ، وتتوقف نهائياً عن اطلاق مركبتك الخاصة للتقدم والتحرك ، لاكتشاف الاخصب في اكوان الفن غير المحدودة .

أنا أختار «الجنون» لاني اختار «الصدق» لاني احب «الانسان».

*

وهكذا وقد اخترت ان أوضع في القميص الكتافي : فلا مناص سوى ان اتكلم وقد ارتاحت يدي خلف ظهري . لقد فضلت بعشقي للجديد وللتجارب الصادقة ان اسمع ممن شاء اطلاقه علي صفة «الجنون» . وتلك صفة أتشرف بها رغم انهم لا يقصدون بها تحيتي ، لكن انا ايضاً لا أقصد تحيتهم عندما اشير اليهم « عوقالاء » او «حفظة ممتازين لجدول الضرب».

الحقيقة التي لا يريد البعض ان يتعلمها : ان المفهومات متغيرة ، والمقاييس متباينة ، والايقاع النفسي لمرحلة يتعارض تماماً مع الايقاع النفسي لمرحلة زمنية بعدها في حياة الشعوب .

لماذا لا يريد احد ان يتعلم او يفهم ان كل مرحلة زمنية يجب ان تترك لابنائها ويجب ان تسودها اللغة المنبثقة منها ؟

حوار دار بيني وبين الاستاذ يوسف السباعي - الواقع انه ليس «حواراً» بل «منولوجان» يدور كل منهما في فلكه - حول الكتابة وتغير الاساليب

الاستاذ السباعي يريد الأسلوب « المفهوم الواضح » وأنا كذلك اريد الاسلوب « المفهوم الواضح » . المشكلة ان ما يعنيه كلانا «بالمفهوم» و«الواضح» متعاكس تماماً .

هو لا يريد ما أمثله من حب وانجراف وحماسة . هو لا يقصدني وحدي او بالذات .هو يقصد ما أمثله . هو لا يرفض « الحب » – بل هو يكرر المطالبة به – لكنه يرفض نوعيتي : نوعية مدخلي للتعبير عن الحب . هو لا يرفض مضموني فقط : هو يرفض حتى بصمة اصبعي ، هو يكرر ذلك امامي بيأس : لكن هل بامكاني ان اغير بصمة اصبعي ؟

أنا ايضاً ارفضه تماماً . أرفض اساوبه ولغته ومنطق فهمه للأشياء . لكن الفرق بيني وبينه انني لا اطالبه بتغيير بصمة اصبعه .

صحيح انني افضل لو انه لم يكن فوق رأسي : لكن طالما هو فوق رأسي شئت او لم اشأ ، وطالما هو الذي يملك في حياتنا الادبية مفاتيح القفل والفتح في بورصة النشر وعدم النشر ، فعلي – وهذا اضعف الايمان – ان اناضل من اجل ان يظل رأسي – أنا – فوق كتفي . علي حق اذا لم أفتح فمي ، ان اتأكد انه مغلق على لساني في الحفظ والصون . علي ان احتفظ بصدقي مع نفسي ، وان لم يكن من الممكن استخدامه كما يجب في خدمة المرحلة الزمنية التي هي «ملكي» بكل الضرورات والحتميات التاريخية والمنطقية والحضارية والتطورية .. الخ.

من الضروري ألا اخضع لاستخدام بصمة اصبع الاستاذ يوسف السباعي بديلاً عن بصمة اصبعي ، والا صرت مزورة كبيرة حري بها ان تسقط في الاحتقار والامتهان .

من الضروري ألا اوقع شيئاً في مرحلتي إلا بما يحملني المسؤولية كاملة .

هذه المرحلة الزمنية هي ، ملكي أنا : انا ابنتها وصاحبتها وعلي أن اسرع فبعد سنوات قليلة سوف تصبح ملك الآتين .

كل ما أعطيه لاصحاب المرحلة الزمنية السابقة هو ان « أخفض لهم جناح الذل من الرحمة » ، لكننا للأسف – نحن ابناء واصحاب هذه المرحلة – لم يعد حتى بامكاننا ان نخفض جناحنا وقد وضعنا جميعاً في القميص الكتاني .

*

ما هو الفيصل الذي يحدد موقفنا من أي شيء ؟

الفيصل عندي – أعيده بشكل أركز عليه الضوء – الفيصل هو هذه الكلمة البسيطة التعبة المتعبة : « الصـدق ».

والصادق لا بد من ان يحدق في المرآة بما يكفي ليعرف ملامحه جيداً كنموذج انساني فيفهم الآخـرين .

لا يمكن ان نتواصل مع الآخرين اذا لم نعرف كيف نتواصل مع أنفسنا.

فيما مضى كانوا يقولون هذا الخطأ الشائع :الذي يحدق في المرآة يصاب بالجنون .

هذا غير صحيح لكن لا بأس .

اتفقنا ان الجنون الذي نحتضنه ، هو العقل الحقيقي .

اتفقنا ان الأفكار التي تدعو الى تغير الأساليب المألوفة – التي لم تعد صادقة للتعبير عن الايقاع النفسي لأبناء المرحلة – اتفقنا ان اصحاب هذه الأفكار الجديدة يوصمون من التقليديين بالجنون .

اذن في هذا الاطار : انا فرحة بالجنون ، بل أدعو له .

أدعو الى جموح العقل حين يبلغ نشاطه وذروة حيويته :

أدعو الى توظيف العقل الحقيقي الذي هو في قاموس «العوقالاء» النزق والرعونة .

«العوقالاء» هم هؤلاء الذين يحفظون جدول الضرب كاملاً : المعلومات لديهم جاهزة ، سعداء بترديدها ، ولو كانت مهترئة الأطراف من كثرة التداول السيء ،

٥ × ٥ = ٢٥

٥ × ٦ = ٣٠

يقولون لك المعلومات بفخر ، كأن مجرد حفظهم لها ابتكار في حد ذاته وانجاز مهول .

قلائل هم الذين يعرفون ان المشكلة ليست معرفة المعلومات الموروثة وترديدها ولكن المهم هو الاستفادة منها في التوظيف والتطبيق وايجاد العلاقات والربط والاستنباط ، حتى يمكن الخروج بمعلومات جديدة غير مسجلة ، او اكتشاف جانب لم تدركه المحفوظات فنتقدم خطوة للامام بدلاً من الانغراز في «محلك سر» .

تعبنا من الذين يحفظون جيداً اسماء الكتب واسماء المؤلفين والناشرين ، ولم يعرفوا ان يقولوا لنا ابداً شيئاً ناهضاً جديداً .

لم يعرفوا سوى ان يرددوا بشكل رديء ما قاله غيرهم طويلاً بشكل افضل – وناهيك بالطبع عن الذين لا يعرفون اصلاً شكل الكتب او معنى «كتاب» لكنهم مع ذلك يكتبون حولها كثيراً .

*

عندما اكتشفت انني اصبحت أنسى اجزاء من جدول الضرب ندمت لأنني حفظته في يوم من الايام ، واشتريت لابن اختي مسطرة حاسبة ، وقلت له : لا تحفظ جدول الضرب . ضع همك كله في التفكير . المسطرة تحت يدك تقول لك المعلومات الجاهزة ، اما انت ، فمسؤوليتك ان يتحرك عقلك ، ويتدرب على تسخير المعلومات المتداولة لخلق ما هو غير متداول وله : ضرورته ونفعه .

II - « سا شا صا ضا طُو ظنُ »

مع ذكر اخبار افلامنـــا في مهرجانات الخارج ، يأتي دائماً ذكر فيلم « المومياء » الذي لم يشاهده الى الآن احد من الجمهور العربي العريض لانه ـ حتى الآن ـ لم يسمح بإنزاله الى الســـوق ليصبح في متناول عين المشاهد العادي .

كل الذين رأوا فيلم «المومياء» شاهدوه في عرض خاص على أضيق نطاق ، ومع ذلك انتشرت اخباره في الصحف ، وتباين الحديث عنه بين متحمس شديد الحماس ، كالدكتور لويس عوض ، او معارض له شديد المعارضة ، كالاستاذ محمد عوده ، وكلاهما كتب رأيه في مساحته الخاصة من جريدته . ثم ثار جدل ـ قرأناه في الصحف ـ بين مخرج الفيلم شادي عبد السلام وبين المسؤولين عن انزال الافلام الى السوق .

المخرج يطالب بالافراج عن الفيلم وطرحه على الجمهور ، والمسؤولون يرفضون انزاله بحجة انه ليس تجارياً ويقررون ان الجمهور لن يفهمه لانه يتميز بأسلوب مختلف في الاخراج والتناول وهم لا يريدون مخاطرة سقوطه جماهيرياً فتعود عليهم الخسارة !

(هـذا الكلام بالطبـــع قاله المسؤولون قبل ان تعرض ارقام خسارات مؤسسة السيـنما ونعرف ان الخسارة والحمد لله تمت دون انزال فيلم «المومياء» الى السوق ودون تسببه ـ بالقطع ـ في تلك الخسارة)

المهم ان الفيــلم لم نره في السوق حتى الآن ، ومحاولة الجدال للاقناع بضرورة طرحه في السوق واعطائه فرصته ـ طالما انه حقيقة قائمة بالفعل وتم الصرف عليه على اية حال ـ ودعك من انه عرض بالفعل في معظم المواقع السينمائية العالمية الهامة وفاز بعدة جوائز ـ محاولة الجـــدال حول هذا الموضوع تملأ الصدر بالغيظ وتدعو الى انفلات الاعصاب بما هو غير لائق .

*

ما معنى ان نحجز عن جمهور السوق اي عمل فني كان ، لمجرد انه شديد الجودة ، مختلف في الوقع والايقاع ؟

ما معنى ان واحداً ، او عشرة ، يقررون حسب هواهم او أهوائهم ما هو مفهوم للناس وما هو غير مفهوم ؟

هل يجب ان نسلّم ونستسلم ونتجمد لان العادات القبيحة في وسائل الفهم تم استفحالها فينا، حتى يكاد أن يصبح من المستحيل الآن ان تحاول ان تجعل شيئاً مفهوماً ، دون ان تضع تعبيرك او شعورك او فكرك في اطار سوقي او مبتذل او مستهلك ؟

الحقيقة المؤسفة اننا حين نقول « يفهم » لا يكون المقصود هو « الفهم » بالمعنى النقي لكلمة « فهم » .

الواقع انه يكون معنى ليعبر ، يفوت ، يمر ، ينزلق ، كما تنزلق الى الجوف الشائبة غير المرئية في كوب المشروب .

اقتراحي هو ان نستنبت منهج «الفهم» النقي بأن توضع الأشياء بشكل يستوقفنا ، يصعب انزلاقه وعبوره .

لا بد من ان نستخدم هذا الذي يبدو اولاً «غير مفهوم» فيرغمنا ان نبذل له جهداً خاصاً بعيداً عن الاسترخاء والخمول الذهني الذي جرفنا اليه الانسياق مع استخدام المألوف والمعتاد والسهل .

أحس احياناً بوجهة نظر «جحا» في طريقته للوصول الى أذنه . لم يكن «جحا» احمق عندما سألوه :

ـ أين أذنك يا جحا ؟

فمد يده ليلمس أذنه البعيدة .

كان من السهل على «جحا» ان يمد يده الى اذنه القريبة ، لكن هذا ما كان الكل يتوقعه .

تصرف «جحا» كان سخرية من بلاهة الاستقرار على «المتوقع» .

كان يريد ان يصنع شيئاً يريض ذهن قومه ويكسر الاستقرار بين جفونهم .

لا بد دائماً ان يتريض الذهن .

ان ينتعش الخيال : أن يُلغى «المتوقع» .

لا بد ان نستنبت حالة الأهبة ، اليقظة ، التنبه ، الاستعداد للمختلف ، وبذلك نستطيع ان نصل الى الفهم الحقيقي متجنبين الخمول والتثاؤب .

هذه العلاقات الطرية بين المتكلم والمستمع والكاتب والقارىء ،

هذه النباتات الرخوة التي تلتف حول رقابنا في الأساليب الفنية التي نراها تحوطنا في الاذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح وندوات النقد والمؤتمرات الادبية .. الخ .

هذه كلها ،

لا بد ان نهدمها .

لا بد ان نقشمها ، وتحل محلها علاقة فد بند :

علاقة نزال وتحد وتوالد دائم للجديد والمتقدم والمنفتح على الآفاق البكر .

يجب ان تسقط الاوراق الجافة ليكون ويظل كل شيء أخضر ،

تظل الارض ميراثاً لنا ونتواصل بالميلاد الدائم .

لكي نبقي على الاخضرار الدائم لا بد : أن نبقي على بذرة الحياة فينا ـ

الثورة ،

الحب ،

رفض التجمد والموات .

صادق ناز كاظم

(القاهرة ٤/٣/١٩٧٢)

الجامعة الاميركية
وقضايا الثقافة الوطنية
(حول قضية حليم بركات)

I - مقدمة

ترتبط الجامعة الأميركية ، اليوم ، بحكومة الولايات المتحدة ، وبالتـــالي بالامبريالية . لقد تحولت من معهد تبشيري الى معهد حكومي اميركي ، وكانت في الحالتين وما تزال تخدم مصالح الولايات المتحدة . لكن يجدر بنا ان نلاحظ الفرق بين خريجيها في السابق وخريجيها في الوقت الحاضر ، من حيث دورهم في المجتمع ونوع الايديولوجية الـــتي يحملونها . ففيما كان يتخرج من الجامعة الأميركية طلاب يتحسس بعضهم آلام مجتمعهم ، وحرمانه وتخلفه ، فيعملون على تغييره في حرب مريرة مع القوى التي تعمل على سلبه حريته وتحطيم عنفوانه وزعزعة ايمانه بنفسه ووطنه ومستقبله ، أصبحت الجامعة تخرج ، اليـــوم ، موظفـــين يهاجرون الى الخارج ، وبخاصة الى الولايات المتحدة ، او يعملون لحساب شركات اجنبية بغية تحسين أوضاعهم الخاصة وتحقيق مطامع بورجوازية استهلاكية .

وفي حين كانت الجامعة تخرج قلة تعمل على تفتيت الواقع الهزيل وتتخـــذ موقفاً نقدياً من الأوضـــاع القائمة المهدمة لكرامة الانسان ، اصبحت في الوقت الحاضر تخرج موجة تلو الموجة ممن يخدمون المؤسسات والشركات التي يرتبـــط استمرارها باستمرار الظلم والاستغلال والخنوع تجاه القوى المعادية للشعب .

وفي حـــين كانت تخرّج من يحاربون الحـــكم التركي والحـــكم الفرنسي ،

أصبحت تخرج من يخدمون الطبقة الحاكمة المرتبطة ارتباطاً عضوياً بالامبريالية.

وفي حين كان يتخرج من الجامعة الاميركية قلة تعمل على نسف القيم التقليدية السائدة المعطلة لامكانات الخلق، اصبحت تخرج أفواجاً ممن يدافعون عن هذه القيم ويحصنونها بصدورهم ضد قيم مستقبلية تؤكد على الانسان بدل الاشياء، وعلى العمل الخلاق بدل العمل العبودي من اجل مقتنيات استهلاكية.

وقد اتضح هذا التحول، منذ ان ارتبطت الجامعة الاميركية سنة ١٩٥١ باتفاقية رسمية مع حكومة الولايات المتحدة، حيث بدأت تفقد استقلاليتها التي كانت لها، نسبياً وظاهرياً، وتعكس وجهة نظرها العدائية للمنطقة. وفي هذا ما يفسر لجوءها، كأية قوة استعمارية غازية، الى القمع والاضطهاد عندما تنشط الحركة الوطنية داخل الجامعة مطالبة بالتغيير. فقد نشطت الحركة الطلابية في اوائل الخمسينيات وبفعل نكبة فلسطين، فطردت الجامعة عدداً من الطلاب الوطنيين. ونشطت الحركة الوطنية بعد الخامس من حزيران فطردت الجامعة عدداً من الطلاب والاساتذة.

وبقدر ما يزداد ارتباط الجامعة الاميركية بحكومة الولايات المتحدة تزداد محافظتها على استقلالها عن الحكومة اللبنانية، وتزداد مقاومتها لأي محاولة للتدخل في شؤونها حتى انها رفضت ان تقبل عرضاً تقدم به وزير لبناني اثناء اضراب ايار ١٩٧١ يقضي بان تدفع الحكومة اللبنانية مساعدات للطلاب اللبنانيين على ان يكون لها من يمثلها على اللجنة التي توزع هذه المنح. فحين تقبل، بتعبير آخر، أن يكون لحكومة الولايات المتحدة مكاتب في حرم الجامعة توزع المنح، ترفض الجامعة ان تتمثل الحكومة اللبنانية بعضو في لجنة تهتم بمساعدة اللبنانيين بأموال لبنانية.

ان الجامعة الاميركية دولة ضمن الدولة اللبنانية ولا تتقيّد ببعض القوانين اللبنانية كالقانون المتعلق بضرورة عدم توظيف غير اللبنانيين في حال وجود لبنانيين مؤهلين لملء المراكز الشاغرة. واذا ما درسنا الجامعة الاميركية في تركيبها الحالي دراسة دقيقة يتبين لنا ما يلي:

أولاً: ان الغالبية العظمى من الطلاب ينتمون الى الطبقات العليا والحاكمة والطبقات العليا الوسطى، وإن نسبة ابناء الطبقات المحرومة لا تتعدى العشرة بالمئة.

ثانياً : تسهم الجامعة الاميركية في هجرة الأدمغة اذ يهجر قسم كبير من خريجيها بلادهم ـ خصوصاً الأطباء والمهندسون والمتخصصون بالعلوم الطبيعية ـ الى الولايات المتحدة . اما الذين لا يهاجرون فتخدم غالبيتهم الشركات والمؤسسات الأجنبية والطبقة الحاكمة المرتبطة بالغرب .

ثالثاً : ان الغالبية العظمى من الأساتذة العرب في الجامعة الأميركية يكتبون بالانكليزية وحول موضوعات تهم الغرب ويتوجهون في كتاباتهم وأبحاثهم الى الغرب .

رابعاً : تقبل الجامعة الأميركية طلاباً غير لبنانيين بنسبة عالية (حوالى النصف) ومعظم هؤلاء من المنطقة ؛ غير أنها هنا ، لا تحدد المنطقة بالمعنى الجغرافي الواقعي ، بل بمعنى الارتباط بالغرب ، فتستقبل الجامعة بعثات حكومية (بمنح من الحكومة الاميركية) من الاردن والسعودية وتركيا وايران وباكستان ، وليس من سوريا والعراق ومصر والسودان وغيرها من البلدان العربية التي تنتهج نهجاً وطنياً أو شبه وطني .

خامساً : ان الجامعة الأميركية مؤسسة غير ديموقراطية اذ تتركز القوة في قمة الهرم ، اي في الرئيس ومجلس الأمناء ، وكل ما يصدر عن الطلاب والاساتذة من قرارات هي مجرد اقتراحات كثيراً ما ترفض . لذلك يتصف وضع الاساتذة بالعجز التام ، فهم أقرب الى أن يكونوا موظفين لا يملكون وجهة نظر منهم الى اساتذة جامعيين يدرسون ويبحثون ويعبرون عن آرائهم بحرية .

سادساً : تشعر الجامعة بانها مهددة وكثيراً ما يأتي تصرفها نتيجة لهذا الشعور فيتصف بالتعسف وعدم المرونة ، وعدم القدرة على التغيّر واعادة النظر . ان عدم تراجع الجامعة أمام اي ضغط مهما كان محقاً دليل آخر على انها ليست مركزاً للعقل والثقافة ، وإنما هي مركز للاستعمار والقمع .

سابعاً : ان فلسفة التربية التي تقوم عليها الجامعة تقوم على فكرة التدريب لا على فكرة التعلم والابداع والاكتشاف والبحث عن الحقائق . انها تعد طلاباً يخدمون الوضع القائم والمؤسسات التجارية وخاصة الاجنبية منها .

تجاه هذه الحقائق ينتظر من مجتمع يؤمن بحريته ، وبحقه

في السيـــادة على أرضه ، وإبداع ثقافته ، أن يكمل استقلاله ، فيتخلص من بؤر الثقافة الاستعمارية ويعمل من اجل جامعة تعمل من أجله لا من أجـل غيره ، وتسهم في اكتشافه لهويته لا في تغريبه عن ذاته .

هيئة التحرير

II - وقائع

قررت ادارة الجامعة الاميركية في بيروت عـــدم تجديد عقد حليم بركات وعدم ترقيته الى رتبة استـــاذ مشارك على الرغم من توصية دائرة علم الاجتماع ، التي يدرس فيها منذ ١٩٦٦ ، وتوصيـــة اللجنة الاستشارية لـكلية الآداب والعلوم . وكان رئيس الجامعة الاميركية صموئيل كيركوود قد بعث برسالة الى حليم بركات في مطلع هذه السنة الدراسية يعلمه فيها ان عقـــده لن يجدد دون ان يذكر اي سبب لذلـــك . ومذ ذاك بدأ بركات اتصالاته بالمسؤولين الاداريين في الجامعة محاولاً معرفة الاسباب وراء رفض تجديد عقده وترقيته ، ولكنه لم يظفر بجواب مقنع اذ كان كل مسؤول يتهرب من الاسئلة ويحيله الى مسؤول آخر .

وكان أول ما فعله بركات ان توجه الى زملائه اساتذة كليـــة الآداب والعلوم وتحدث اليهم في اجتماع عام بتاريخ ٧٢/٢٠/٢٩ . وكان شارل مالك الاستاذ الوحيد الذي حاول عرقـــلة بحث الأساتذة للموضوع بحجة انه ليس من اختصاصهم وانه لم يسبق لاستاذ ان أثار موضوعاً كهـــذا أمام زملائـــه . ولكن حديث بركات ولـد اهتماماً واسعاً بين الاساتذة فخصصوا له اجتماعين متتاليين توصلوا بهما الى تأليف لجنة تهدف الى تقديم توصيـــات حول تغيير قوانين الجامعة بحيث تضمن للاستاذ حريته وحقوقه ، والى ضرورة اعادة النظر بقضية بركات .

وفيما يلي بعض ما جاء في حديث بركات الى اساتذة كلية الآداب والعلوم :

ربما لم يسبق ان تحدث عضو من هيئة التعليم لزملائه عن مشكلاته مع الادارة . لكنني ، كمؤمن بالمثل الديمقراطية ، اعتقد انه من الطبيعي للغاية ان تناقش بحرية وصراحـــة ، مع كل من يعنيه الأمر ، كل القضايا الـــتي تتعلق بقرارات مثل قرار عدم تجديد عقد زميل من الزملاء . وتوجهي لـكم اليوم ينسجم مع المناقشة التي طرحتها في اجتماع هيئـــة المعلمين خلال اضراب ايار – حزيران من العام الماضي ، والداعية الى ان يكون لهيئة التعليم دور فعال في الحيـــاة الجامعية . ولا أبالغ اذا قلت ان الأوضاع القائمة تجعل هذه الهيئة أشد عجزاً من اي مجموعة اخرى داخل الجامعة .

لا بد لي في البداية من أن أضع بين ايديـكم بعض الحقائق الأولية التي تتعلق بقضيتي :

أولاً ـ هذه هي السنة السادسة لي في الجامعة الاميركية كاستاذ مساعد في علم الاجتماع . وقد نلت شهادة الدكتوراه من جامعة ميشيغان (آن اربور) عام ١٩٦٦ .

ثانياً ـ خلال ست سنوات من العمل ، كنت مكباً على الابحاث والنشر والتعليم وخدمة الوسط الجامعي بأقصى ما أوتيت من قدرة .

ثالثاً ـ لقد أوصت دائرة علم الاجتماع في تشرين الاول الماضي بتجديد عقدي وترقيتي الى رتبة استاذ مشارك . وكانت هذه هي المرة الثانية التي توصي بها الدائرة بترقيتي .

رابعاً ـ قامت اللجنة الاستشارية بالموافقة على توصية دائرة علم الاجتماع بالنسبة لتجديد العقد وللترقية الى رتبة استاذ مشارك .

خامساً ـ استلمت رسالة من الرئيس كيركوود مؤرخة في ٢٧ ايلول ١٩٧١ يعلمني فيها ان عقدي الذي ينتهي في ٣٠ ايلول ١٩٧٢ لن يتجدد . ان هذه الرسالة قد ارسلت لي قبل ان يطلب من دائرة علم الاجتماع تقديم توصيتها وقبل ان تقوم الدائرة بهذه التوصية .

وامام جملة هذه الحقائق ، أود ان أصف لكم باختصار اجابات مسؤولي الجامعة للتساؤلات التي طرحتها حول اسباب عدم تجديد عقدي وعدم ترقيتي الى رتبة استاذ مشارك رغم توصيات دائرة علم الاجتماع واللجنة الاستشارية .

١١ تشرين الاول ، ١٩٧١ : قال لي رئيس الدائرة « من الافضل لك ان تتصل بالعميد » فقد قال لي انك مفكر اكثر مما أنت مهني في علم الاجتماع . لقد دافعت عنك ، وذكرته بمفكرين في علم الاجتماع مثل ميلز وريزمان وبل وغيرهم . لكنني اعتقد ان دورك في الاضراب الطلابي كامن في خلفية ذهنيه ».

١٣ تشرين الاول ، ١٩٧١ : قال لي العميد « ان الرسالة التي وصلتك حول عدم تجديد عقدك ليست مسألة روتينية :انها جدية . اعتقد ان احتمال تجديد عقدك لا تتجاوز الخمسين بالمئة . اما بالنسبة لدورك في الاضراب فاعتقد شخصياً انه كان ايجابياً . اذهب وكلم الرئيس ».

٢٢ تشرين الاول ، ١٩٧١ : قال لي رئيس الدائرة « انا لم أقل انك لست مهنياً . انهم يريدون القاء المسؤولية علي . ليكن موقفي واضحاً تجاهك . انا اعتقد انك رصيد لا غنى عنه لدائرة علم الاجتماع . وانا سأقاتل من اجلك ، وضميري مرتاح ».

٢٤ كانون الثاني ١٩٧٢ : قال لي العميد « ان احتمال تجديد عقدك لا يتجاوز الخمسين بالمئة . انصحك بلقاء الرئيس . لقد استلمت رسالة بعدم تجديد عقدك ويجب ان تعتبرها جدية الى ان تستلم رسالة مناقضة . وانصحك بالبحث عن وظيفة أخرى ».

٢ شباط ، ١٩٧٢ : قال لي الرئيس « خلال الثلاث السنوات المقبلة ، وبسبب الضغوط المالية، سنقوم باعادة تنظيم أساسية . واعادة التنظيم هذه لا يمكن القيام بها في فروع اساسية مثل الكيمياء والرياضيات ، بينما يمكن القيام بها في حقل العلوم الانسانية ».

وعندما ذكرت الرئيس ان اعادة التنظيم التي يتحدث عنها لا يمكن ان تعني الغاء مقعد

استاذ في دائرة علم الاجتماع لانها اولاً ليست من الدوائر الخاسرة مادياً وثانياً لأن عدداً من اساتذة علم الاجتماع قد تم الاتصال بهم لاحتلال مقعدي في حال عدم تجديد عقدي ، قال: « بصراحة ، انصحك بالبحث عن وظيفة اخرى . بامكانك ان تكون رائداً في الجامعة اللبنانية » .

١٤ شباط ، ١٩٧٢ : قال لي العميد «حتى الآن كنت أكلمك بلغة الاحتمالات . اما الآن ، فأقول لك ان عقدك لن يتجدد نهائياً . وهناك سببان مترابطان ومتداخلان . الاول هناك شكوك حول مهنتيك كعالم اجتماع . والثاني انك اكتسبت لنفسك سمعة المفكر السياسي الثوري . ان هذه جامعة محافظة ولا تحتمل أفكاراً أخرى . ان الاجسام ترفض عناصر غريبة عن طبيعتها » .

فيما كنت أواجه دوامة هذه اللقاءات تذكرت مراراً المحاكمة في روايات كافكا . لم اكن أعرف ما هي التهمة ، ومن هم المدعون ومن هم القضاة ، ومن هم المرافعون ، وما هو الحكم . وانا الآن مقتنع بما لا يقبل الشك ان عقدي لن يجدد واني لن ارقى الى رتبة استاذ مشارك لاسباب غير اكاديمية .

لم تجر اية محاولات لتوضيح ما المقصود بـ «المهنية» لذا فاني اعتقد ان المسألة المهنية تستخدم كغطاء وقناع واه للسبب السياسي . وخلال لقاءاتي مع المسؤولين ، انكشفت لي محاولات عدة للمراوغة وجهود تبذل عمداً لاخفاء المسألة الحقيقية . واكتشفت ايضاً محاولات عدة للتنصل من المسؤولية والقائها على عاتق الآخرين .

انني اؤمن بان الانسان لا يجوز ان يرضى بالظلم وينسحب بصمت . لذا قررت ان أتحدث اليكم في هذا الاجتماع . لقد حذرني بعض اصدقائي بان هيئة التعليم هيئة محافظة وانه يجب الا أطرح قضيتي عليكم . واوضحوا لي بانني أعرض مستقبلي المهني وامكانية حصولي على وظيفة في جامعة أخرى للخطر . غير ان هذه مجازفة لا بد لي من مواجهتها . وما قد يفسره البعض على انه خلق للمشكلات ، اعتبره شخصياً موقفاً اخلاقياً .

القضية بالنسبة إلي هي الآتية : هل يمكن أحد أن يكون عالم اجتماع في المجتمع العربي دون ان يشغل نفسه بقضاياه ؟ هل يمكن أحد « ان يخدم حاجات المنطقة » وان « يلعب دوراً في تحقيق آمال شعوب الشرق الاوسط » دون ان يوجه عمله بهذا الاتجاه ؟ وكيف يمكننا ان نقوم بذلك دون طرح اسئلة حول ما الذي يمنع المجتمع العربي من مواجهة التحديات المعقدة في الازمنة الحديثة ؟

كيف يمكننا ان نبحث عن الحقيقة دون حرية اكاديمية ؟ ما معنى الحرية الاكاديمية ان هي لم تسمح لتعدد الاتجاهات والمعارضة ؟ انني لا اعتقد ان اسباب عدم تجديد عقدي هي اسباب تتعلق بالمهنية لان الجهة التي تستطيع ان تقيم مستوى الاساتذة المهني هي الجهة التي ينتمون اليها، وهذه الجهة بالنسبة لقضيتي هي دائرة علم الاجتماع . وقد اتخذت هذه الدائرة قراراً يتعلق بمستواي المهني وقامت بتزكيتي كما تبنت اللجنة الاستشارية هذه التزكية . ان قرار انهاء خدماتي سببه الوحيد ان الجامعة لا ترغب بالتسامح مع وجهات نظري التي تعتبرها خارجة عن ميولها الحالية .

١) ما هي الضمانات التي يجدها في هذه المؤسسة العلماء العرب المهتمون بقضايا بلادهم ويعملون لخدمة حاجاتها ؟

٢) هل من المفروض ان تكون الجامعة الاميركية جامعة محافظة ؟ هل هذا يعني انها لا تحتمل الا الذين يسخرون انفسهم لخدمة الاوضاع القائمة ؟ هل يتعارض التغيير مع اهداف ومصالح هذه الجامعة ؟

٣) هل يتلاءم عدم تجديد عقد احد الاساتذة بسبب اتجاهه السياسي مع المثال الاعلى المطروح هنا بان الجامعة هي محور للنقاش الفكري ومكان تستطيع الافكار المتناقضة ان تكتفي به على مستوى العقلانية ؟

٤) هل من العقلانية بشيء الا نسمح حتى للاجراءات الشرعية ان تأخذ مجراها ؟

*

واستجابة لما جرى في اجتماعات الأساتذة ، عقدت دائرة علم الاجتماع اجتماعاً بتاريخ ١٤/٣/١٩٧٢ وقررت ارسال النداء التالي للمسؤولين الاداريين :

« لما كان عدم تجديد عقد الاستاذ بركات مخالفاً لتوصية الدائرة في تشرين اول (اوكتوبر) ١٩٧١ ، فاننا نطالب باعادة النظر بقضيته » .

وبعد حوالى شهر من تاريخ هذا النداء الذي وافق عليه اساتذة دائرة علم الاجتماع والانتروبولوجيا بالاجماع ، استلم بركات رسالة لا تتعدى السطرين من العميد بالوكالة في ١١ نيسان (ابريل) ١٩٧٢ ، وهذا هو نصها : « أود ان اعلمك ان مجلس العمد اجتمع بتاريخ ٥ نيسان (ابريل) ١٩٧٢ ، وراجع قضيتك ولكنه قرر عدم اتخاذ اي قرار جديد بشأنك » .

وهكذا وصلت قضية بركات الى طريق مسدود فيما يخص ادارة الجامعة الاميركية .

ومنذ ٢٥/٤/٧٢ حتى الآن والصحف والمجلات اللبنانية تتناول الموضوع ناقلة ردات الفعل بين طلاب الجامعة الاميركية واساتذتها والقوى التقدمية في لبنان وبين الصحف التي أظهرت اهتماماً جاداً ومستمراً بهذه القضية : المحرر ، والانوار ، والنهار ، والحياة ، واليوم ، واللواء ، ونداء الوطن وغيرها (انظر اعدادها خاصة في ٢٥-٢٨/٤/٧٢ ، ٢-٥/٥/٧٢ ، ١٢/٥/٧٢ ، و٢٦/٥/٧٢) . وبين المجلات الاسبوعية التي اهتمت بالموضوع البناء (في اعدادها بتاريخ ٢٩/٤/٧٢ ، و٦/٥/٧٢ ، و١٣/٥/٧٢ ، ٢٠/٥/٧٢) والصياد (بتاريخ ٤ - ٥ - ٧٢) ، والاسبوع العربي (بتاريخ ١ - ٥ - ٧٢) ، والحوادث (بتاريخ ٥ - ٥ - ٧٢) ، والبلاغ (بتاريخ ٢٢ - ٥ - ٧٢)

كذلك اهتمت الصحف الصادرة باللغات الاجنبية في لبنان مثل *L'orient - Le Jour* و *Daily Star* والمجلة الطلابية *Outlook* .

واهتمت صحف عربية خارج لبنان بالموضوع مثل الثورة السورية (بتاريخ ٢٦ - ٤ -٧٢) والسياسة الكويتية (٢ - ٥ - ٧٢) .

وقد اجرت جريدة اليوم سلسلة مقابلات مع بعض اساتذة الجامعة اشترك فيها حليم بركات وعدنان اسكندر ولطفي دياب ومنير بشور وبيتر أيف ، ورتشرد سكوت وذلك في اعدادها بتاريخ ٩ -٥- ٧٢ ، و٢٧-٥- ٧٢ ، و٢٩-٥- ٧٢ ، و٣١-٥-٧٢،و٥-٦-٧٢ .

III - مواقف الطلاب

تمثلت ردود الفعل عند الطلاب في نشاطات عدة كندوات الهايد بارك ، ودعوة عدد من المفكرين الى محاضرات وندوات ، وإقامة مهرجان داخل الجامعة ، واصدار بيانات ، والقيام بمسيرة الى منزل رئيس الجامعة،واجراء دراسة حول آراء الطلاب بحليم بركات الاستاذ والباحث . وفيما يلي بعض النماذج .

١ - دافعوا عن بركات - دافعوا عن الحريات الاكاديمية والسياسية .

بالرغم من ان ادارة الجامعة تدعي باستمرار بانها حيادية ، ولا سياسية ، وانها تخدم حاجات المنطقة ، فان تصرفاتها تأتي معاكسة تماماً لهذه الادعاءات .ان تصرفها تقرره اهتماماتها السياسية، وآخر ضحاياها هو الدكتور حليم بركات ... الذي انهت الادارة التعاقد معه لاعتبارات واسباب لا تجرؤ على اعلانها . ان الادارة تحاول اخفاء نواياها السياسية وراء اتهامات غامضة باللامهنية . الا ان سجل الدكتور بركات يعلن عن نفسه من حيث خدمة المنطقة ومن حيث مهنيته كاستاذ لعلم الاجتماع .

ان السبب الحقيقي وراء تصرف الجامعة الظالم هو طبيعة وجودها كخادمة للاستعمار في المنطقة ... لذلك تعمد ادارة الجامعة الى كبت الحرية الاكاديمية ، وتقدم مواضيع لا علاقة لها بنمو المنطقة ، وتصفي الاساتذة الذين يظهرون استقلالاً فكرياً واهتماماً بتغيير المجتمع ، وتشجع اولئك الاساتذة والطلاب الذين يظهرون استعداداً للعمل ضد شعوبهم في خدمة الامبريالية .. ان الجامعة الاميركية تعمل على تخريج طلاب مدربين على خدمة البنية السياسية المحلية من ناحية ... ومغتربين عن ثقافتهم الحقيقية وعن شعبهم من ناحية أخرى .

... ايها الاساتذة والطلاب ، لقد حان الوقت ليتحول وعينا لهذا القمع الى عمل.ان قضية حليم بركات ليست اكاديمية فحسب ، ولكنها ايضاً سياسية ووطنية . اننا ندعو جميع الطلاب ان يدعموا قضية بركات وان يتعاونوا معنا في كفاحنا ضد هذه التصرفات الامبريالية في الجامعة الاميركية .

(بيان اللجنة التحضيرية للاتحاد العام لطلاب الجامعة الاميركية)

٢ ـ مؤشرات للنضال

شكلت قضية الدكتور حليم بركات في طرحه مجموعة من المؤشرات التي يجب الالتفات اليهـا بكل جدية حتى نتمكن من استيعاب الواقع الموضوعي لحركة النضال داخل الجامعة الامريكية بهدف فهمها والارتقاء بها الى واقع أفضل : فهي أشرت أولاً باتجاه ادارة الجامعـة ومخططاتها ، واشرت ثانياً باتجاه القوى التقدمية في لبنان بشكل عام وباتجاه النضال داخل الجامعة الامريكية بشكل خاص .

اننا ومنذ البداية نرى لزاماً علينا ان نوضح ما يلي :

١ ـ ان عدم تجديد عقد الدكتور بركات هو محاولة يائسة من قبل ادارة الجامعـة لخنق اي نفس وطني داخل اطار اساتذتها .

٢ ـ ان قضية الدكتور بركات لا يمكن فصلها عن قضية النضال الطلابي في الجامعة الامريكية ذلك ان العلاقة بين القضيتين واضحة جداً . ومن هنا فلا يجوز اطلاقاً ان يبقى الجسم الطلابي قابعاً على كراسي المتفرجين .

٣ ـ ان سلسلة الاجراءات القمعية التي تتخذها ادارة الجامعة لا يمكن فصلها اطلاقـاً عن الهجمة الامبريالية الرجعية الشرسة خارج اسوار الجامعة وذلك يوضح مدى الحاجة الى ربـط النضال داخل الجامعة بالنضال الوطني خارجها .

ان اكبر المغالطات التي يمكن ان تقع فيها الحركة الوطنية والتقدمية داخل الجامعة هو اعتماد الحوار مع ادارة الجامعة كطريق أساسي لحـل قضاياها بشكل جذري . ان من شأن « حوار الطرشان » هذا ان يشوه العلاقة الصحيحة . هذه التي تنبثق من خلال النضال اليومي المتواصل لتعرية الدور القذر الذي تلعبه ادارة الجامعة .

فلنوحد صفوفنا لمواجهة هذه الاجراءات القمعية
ولنعمل لربط نضالنا بالنضال الوطني خارج اسوار الجامعـة .

(نشرة «الطالب الثوري» ، العدد الأول)

٣ ـ كشف حقيقة الجامعة الاميركية : قضية حليم بركات

ان نشعر بكرامة الانسان وان نؤكد عليها ... بدون اثر للانانية ودونما اي اعتبار لعقاب مقدس او اجتماعي .. هنا تكن الحقيقة . ان يكون الانسان مستعداً للدفاع عن الكرامة في كل ظرف وبكل ما يملك من طاقة ، واذا اقتضت الضرورة ضد مصلحته ، هنا تكن العدالة .

برودون

لقد اصبحت قضية حليم بركات « قضية شهيرة » لانه ، رغم كونها حلقة في سلسلة طويلة

من اجراءات قمعية متشابهة قامت بها ادارة الجامعة الاميركية ، من النادر ان تختار الضحية ان تتخذ موقفاً تعرف انها باتخاذه تعرض مستقبلها للخطر . انما بالنسبة الينا ، فان الدكتور بركات قضية هامة لان رفضه الانسحاب بصمت ولد سلسلة من ردات فعل عند قطاعات مختلفة في الجامعة الاميركية مما يساعد على توضيح تناقضات اساسية داخل الجامعة وبامكان هذا التوضيح ان يشكل دافعاً ودليلاً للعمل .

... ان توجه حليم بركات الى زملائه أساتذة كلية الآداب والعلوم ، ومثل هذا التأكيد على الحقوق الاساسية ،لم يسبق له مثيل في الجامعة . وقد قوبل بركات بمحاولة لاسكاته قام بها ضمير الجامعة الدكتور شارل مالك بحجة عدم استعمال « الاقنية الصحيحة » ولكن « الاقنية الصحيحة» غير موجودة .

... ان تهرب الادارة من اعطاء أسباب لقراراتها هو شكل من اشكال التخويف، ذلك لان القول الأخير ليس للدائرة او للاساتذة ، بل لممثلي الادارة غير المؤهلين لاصدار احكام في هذا الموضوع . ويظهر التخويف في السيطرة غير المباشرة على المواضيع التي تعطى في الجامعة ... اننا ندرس ما هو معطى ، وليس ما يمكن او يجب ان يكون دون ان ندرك اننا بذلك نقبل ما هو معطى على انه نهائي . ان نجاح عملية التخويف وغسل الادمغة هذه يظهر جلياً في تصرف الفئات المختلفة في هذه الجامعة..لذلك يعدل الاساتذة من لفتهم وتصرفهم كي لا يعرضوا مراكزهم للخطر . ومع انه من السهل تفهم ذلك اذا ما عرفنا طبيعة الجامعة ، الا انهم يجب ان يتحملوا بعض المسؤولية واللوم في ذلك . نفهم ان للاساتذة مسؤوليات عائلية ، وانهم بحكم تدريبهم قادرون على التدريس فقط في المعاهد التي تتبع برامج اميركية . نعرف المسؤوليات والضغوط التي يتعرضون لها . ولكننا نعرف ايضاً ان هذه المسؤوليات والضغوط يمكن ازالتها اذا ما اتحدوا ونظموا أنفسهم ...

ويتحمل التلاميذ بعض اللوم ايضاً . ان الرغبة في «المشاركة الطلابية» امر جيد ، انما اذا ما أخذنا بعين الاعتبار طبيعة الجامعة الاميركية وتكوين طلابها ، ليس من الواضح من الذي سيختار للمشاركة . اذا لم يتم اختيارهم مباشرة من قبل الطلاب ، سيتم اختيارهم .. بواسطة مجلس الطلبة الذي تبين من الاحداث الماضية انه آلة في يد الادارة . والسبب وراء عدم وجود قيادة طلابية حقيقية وكون القيادة الحقيقية متحالفة في الحل الاخير مع الادارة هو لامبالاة القسم الاكبر من الطلاب .

.. ان ما نحتاج اليه ليس تنازل الادارة باعطائنا مجلساً للطلبة ... ان ما نحتاج اليه أن نتوصل الى تحديد جديد كلياً يقابله التزام بالعمل من أجل احداث تحول اساسي . ومثل هذ التحول لن يحدث الا بتحول مقابل في مجتمعنا نفسه .

(من «كفاحنا» ـ وهي مجلة سرية يصدرها الطلاب اليساريون في الجامعة الاميركية ، العدد ٧ و٨ حزيران ١٩٧٢)

٤ - الرئيس حر مثل الطائر في الشجرة

الاستــاذ الحر - الآن ما هو تعريف ارسطو للانسان ؟

الطــالب - الانسان حيوان سيامي .

الاستـــاذ - لنكتب هذا التعريف على اللوح الاسود .

(يدخل رئيس الجامعة فجأة ومعه مجلس العمد واللجنة الاستشارية ورئيس الدائرة) .

رئيس الدائرة - ارفع يديك ... لا تتحرك ... آه (ويشير الى كلمة سيامي على اللوح) ... هنا الحجة . يا استاذ انــك تسيء استعمال الحرية الاكاديمية هذه هي الخيانة العظمى .

مــدير الدائرة - مذنب .

مجلس العمــد - مذنب .

اللجنةالاستشارية - مذنب .

رئيس الجامعة - اهتموا به .

(هنا يربط رجال الادارة يدي الاستاذ ويكون فمه بمنديل)

رئيس الجامعة - ان الجامعة الأميركية في بيروت كما رددت مرات عدة ، هي مؤسسة خاصة ، وليست ضحية الثورات . انها جامعة حرة وهذا يعني نهائياً - ان الرئيس حر مثل الطائر في الشجرة .هذه الجامعة ديمقراطية ولكن (مخاطباً رئيس الدائرة) صدقــوني ان الشعب ليس من المستوى . الطلاب طلاب ، يجب ان يتعلموا من دون أن يفكروا ، ومن نتعاقد معه نطرده .

الطــلاب - (يصرخون وهم يحملون لافتات كتب عليهــا « الجامعة الحرة » و« الحرية الاكاديمية » و«مشاركة الطلبة»). الحرية . الحرية . نريد الحرية .

رئيس الجامعة - النجدة ... النجدة ... النجدة .

يأتي وزير التربية ممتطياً حصاناً ويتبعه شرطيان ، فيطلب من الشرطيين ضرب الطلاب ، فيفعلان . بعد ذلك يدير الشرطيان اللافتات فيظهر على وجههــا الآخر هذه الشعارات «صيام واعتصام» و«مسيرة صامتة» و«اضراب رمزي».

رئيس الجامعة - (يتكلم العربية بلكنة اميركية) : سيداتي سادتي ، انتو بتــارف (بتعرف) اديش اميركا بازو الأرب (بيعزوا العرب) . نهنا هوني في الجامعة الاميركيــة بيهـــدم (بيخدم) هالنتنه بالمو (بعلمو) ومالو ويهب (وبيحب) يشوف الأرب متألم (متعلم) . لكن اسرايل بدو يسكر الجامعة . مشان هيك بيؤول الاستاذ

جاسوس بتاء هوا بألم الطلاب شي مس كويس . نهنا بدو بيطرد هيدا استاذ.

(مشهد من مسرحية بعنوان « الرئيس حر مثل الطائر في الشجرة » قدمتها جماعة السنا ، في الجامعة الاميركية)

٥ ـ مقاييس غير أكاديمية

... بعد دراسة مفصلة لقضية الاستاذ بركات ، تأكد لمجلس الطلبة أن مقاييس غير أكاديمية ، قد استعملت في حرمانه من تجديد عقده وعدم ترقيته الى رتبة استاذ مشارك .

الاستاذ بركات اجرى دراساته حول مواضيع هامة مثل محنة الفلسطينيين والطلاب الجامعيين وادخل مواضيع كسوسيولوجية الأدب ، وسوسيولوجية التغيير الثوري ، وعلم الاجتماع الراديكالي . لقد نشر بشكل واسع بالانكليزية والعربية وشجع التفكير الخلاق بين تلاميذه وقرائه ..

(من بيان أصدره مجلس الطلبة في الجامعة الاميركية)

٦ ـ نرجو ان تترك الجامعة

« استاذ بركات نرجو منك ان تترك الجامعة بهدوء وسلام ، لاننا لا نستحقك .. لقد تحملت مشقة اعلام تلاميذك عن قضيتك الحقة . ولكن كان من الافضل ان لا تقوم بذلك لانك اردت ان تعطي الطلاب دوراً هم ليسوا مؤهلين له بعد . يجب ان تترك وأنت مسرور ، لاننا ببساطة لا نستحقك . هل تنتظر من الطلاب ان يساعدوك ، لانك تؤمن بالحرية الاكاديمية، ولان الطلاب يجب ان يكون لهم قولهم في قضايا جامعتهم . اعذرني اذا قلت لك انك شديد التفاؤل ».

(من كلمة للطالب غالب شعلان ، توجه بها الى حليم بركات ، في احدى ندوات الهايدبارك ، بالجامعة الأميركية)

IV ـ مواقف المثقفين

١ ـ دعت اللجنة التحضيرية للاتحاد العام لطلاب الجامعة الأميركية صادق جلال العظم ومنح الصلح الى ندوة حول « الجامعة الأميركية والقمع الفكري ».

ومما قاله صادق العظم : « لقد صرف الدكتور بركات دون سبب منطقي وأنا ضد بقاء

بركات في الجامعة الاميركية لسبب بسيط هو ان الجامعة لن تبقيه وهي لا يمكنها التراجع عن اي موقف تتخذه ، ولان الدكتور بركات كسب لحركة التحرر العربية ، فقد اتهمته الجامعة «بجرائم» كثيرة منها الثورية واقامة علاقات طيبة مع الطلاب . وكان «اهم» اتهام انه عالم اجتماع تخصصه المهني مشكوك فيه ... تعتمد الجامعة الأميركية على معيار معين للتخصص المهني وهذا المعيار ليس نابعاً من حاجاتنا في المنطقة ، والدكتور بركات رفض ان يدخل في هذا المعيار المعد لهوهو يريد الخروج الى آفاق أوسع تتعلق بقضايانا . فبركات يهتم بالفكر الثوري ،بالمقاومة، بالحركات المعادية للاستعمار ،بحرب حزيران وبالطلاب ».

وتحدث منح الصلح فقال : « لم يكن لي حظ بان أكون استاذاً في الجامعة الاميركية ،ولكني أعمل اليوم من أجل الابقاء على استاذ في الجامعة . ونظراً لاني أعرف الصفات الحميدة الكثيرة التي يتمتع بها الدكتور بركات ، فاني اتساءل : كيف تريد الجامعة المثقف اذن ؟ انه عالم وأديب وبحاثة ورجل وطني ، وهو في رأيي مثال عما يجب ان تكون عليه الثقافة ».

٢ ـ وبدعوة من مجلس الطلبة تكلم كلوفيس مقصود حول الحرية الاكاديمية فقال : « الجامعة الاميركية اصبحت مقبرة لعملية التغيير ... والقضية المطروحة بشكل مباشر ، قضية تجديد عقد الدكتور بركات ، تعني ان الاستاذ الاكاديمي يعاقب من أجل التزامه ، بينما الآخر الذي ينمي روح التعامل مع السلطة يكافأ ... ان الجامعة الاميركية هي اميركية من حيث المنشأ ويجب ان تستهدف جعلها عربية من حيث الوصول ».

٣ ـ وكان عدد كبير من المثقفين اللبنانيين قد اجتمعوا في النادي الثقافي العربي وناقشوا فيه قضية اقدام ادارة الجامعة الاميركية على عدم تجديد عقد حليم بركات .وقد اقر الاجتماع تشكيل هيئة دفاع عن الحريات الجامعية . وقد اصدر المثقفون اللبنانيون المجتمعون في النادي الثقافي العربي البيان التالي الذي وقعه عشرات من المثقفين والاساتذة الجامعيين والطلاب والأدباء والشخصيات الوطنية والتقدمية :

« ان المثقفين اللبنانيين اذ يستنكرون اقدام ادارة الجامعة الاميركية على عدم تجديد عقد الدكتور حليم بركات ، يعلنون رفضهم للحالة الراهنة التي تسمح لمؤسسات التعليم الاجنبية ان تتسلط على مصير الأساتذة الوطنيين الشرفاء ، وان تستخدم أساليب الارهاب المعيشي لتحقيق اهدافها السياسية .

ان الخطوات المتتالية التي اتخذتها الادارة الاميركية في تلك الجامعة ، لم تترك مجالاً للشك بانها تقوم بتنفيذ مخطط سياسي يتنافى مع أبسط معالم الرسالة الثقافية وحاجات الثقافة الوطنية ، بقدر ما يتنافى مع بديهيات الاستقلال الوطني .

وخلال السنوات الماضية حاول العديد من المثقفين وخريجي الجامعة وأصحاب الرأي المعتدلين ، ان يتدخلوا لدى ادارة هذه الجامعة مرات عديدة ، يشيرون عليها بمعاملة أكثر ليناً وانفتاحاً على اساتذتها وطلابها ، ولكن دون جدوى .

وقد آن الاوان للتدخل لوضع حد لسلطة الادارة المطلقة على مصير هؤلاء الاساتذة

والطلبة الذين لم تستطع الادارة ان تقدم اثباتـــاً واحداً على خروجهم على المقاييس الثقافية والجامعيـــة .

أمام هذا الواقع ، فان المثقفين اللبنانيين يعلنون استعدادهم للجوء الى كافة الوسائل لتحقيق حماية الثقافة الوطنية .

وهم اذ يقفون بجانب طلبة الجامعة الاميركية في معركتهم العادلة من أجل الثقافة الوطنيـــة والحريات الجامعية يطالبون :

أولاً ـ ان تعود ادارة الجامعة الاميركية عن قرار عدم تجديد عقد الدكتور حليم بركات .

ثانياً ـ ان يقر حق الطلبة في المشاركة بتقرير التعاقد أو عدم التعاقد مع الاساتذة كأحـــد الشروط الأساسية لتحقيق المشاركة الحقيقية للطلبة في توجيه السياسة الجامعية .

ثالثاً ـ ان تشكل هيئة وطنية دائمة لمراقبة مؤسسات التعليم العالي الاجنبية عملا بالمرســـوم الصادر بهذا الخصوص .

٤ ـ وأقامت اللجنة الـــتي شكلها المثقفون اللبنانيون في اجتماعهم بالنادي الثقافي العربي « المهرجان الوطني للدفاع عن الحريات الديموقراطية » في قاعة الاجتماعات الكبرى في الجامعـــة الاميركية بعد ظهر الخميس ٢٥-٥-٧٢ ، واشترك فيه المحامي جبران مجدلاني ، والطالب اديب خليفه رئيس اتحاد طلاب جامعة بيروت العربية ، والطالب انور الفطايري رئيس الاتحاد العام لطلاب الجامعة اللبنانية ، والطالبة فريال لدعة رئيسة الحكومة الطالبية في كلية بيروت للبنات ، وجوزيف مغيزل رئيس النـــادي الثقافي العربي ورئيس الحزب الديموقراطي ، والطالب ربيع الاسير باسم مجلس الطلبة ، ولطفي دياب ، وحليم بركات وعزت حرب رئيس جمعيـــة متخرجي المقاصد الاسلامية ، والنائب زاهر الخطيب .

٥ ـ وأجرت جريدة اليوم سلسلة أحاديث مع بعض اساتذة الجامعة الاميركية حول قضية بركات كان بين من تكلم فيها عدنان اسكندر ٢٧-٥-٧٢ ، ولطفي دياب ٢٩-٥-٧٢ ، ومنير بشور ٣١-٥-٧٢ .

ومما قاله عدنان اسكندر استاذ العلوم السياسية والادارية ، في الجامعة الاميركية : « لقـــد اكتسبت قضية الدكتور حليم بركات اهمية ، لان بركات يتمتع بالكفاءة كاستاذ وباحث ، وهو مختص في حقل العلوم الاجتماعية ، وقد كتب مؤلفات مهمة قيمـــة في هذا المجال . وبالاضافة الى كفاءته العلمية فان بركات معروف بالوطنية التي يشهد بها له الكل ،وهم يشيدون باخلاقه ايضاً، وهو من نوع الاساتذة الذي يجب ان تسعى الجامعة الى جذبه .

ولقد اتخذت قضية بركات طابعاً ثورياً لانها مرتبطة بالتطورات التي اجتاحت الجامعـــة الاميركية في السنة الماضية . ووسط هذه التطورات وقف الدكتور بركات موقفاً يؤيد التحركات الطالبية ، في وقت كانت الجامعة تبدي تصلباً وسلبية .

من أبسط قواعـــد الادارة الجامعية ان تعطي الاسباب عندما تفصل استاذاً . وهذا ما لم

تفعله الجامعة بشأن بركات . مما يظهر لنا ان ادارة الجامعة تتسلط على اساتذتها بشكل يقرب من الدكتاتورية دون افساح المجال لاي مشاركة حقيقية من الاساتذة ... ويمكننا القول ان تدابير الجامعة تهدف الى قمع فكري تلوح به ضد الاساتذة وان المراد بمشكلة بركات هو تخويف بقية الاساتذة ».

ومما قاله منير بشور ، رئيس دائرة التربية في الجامعة الاميركية :

« قضية بركات تصادم بين سياسة الجامعة الاميركية العامة وبين حرية الرأي الذي يمثله استاذ في هذه الجامعة ... لا ننس ان الجامعة الاميركية هي أولاً ، اميركية ، بمعنى آخر ، جامعة أجنبية تمثل تياراً تعليمياً وحضارياً يختلف عن تيار المنطقة . لذلك ، ومن طبيعة الأمور ، ان ينشأ تصادم بين وقت وآخر بين هذه السياسة التي تمثلها الجامعة والاساتذة الوطنيين الذين ينطلقون من قاعدة وطنية .

« وموقف الادارة خلال الاضراب في السنة الماضية يبين لنا ان الادارة قد وصلت في قراراتها الى الموقف التالي . « هذه هي سياستنا وهذا ما نقوم به ، فإما ان تقبلوا بنا كا نحن او نغلق الأبواب » وقد عبر رئيس الجامعة مراراً عن هذا بقوله : ان الجامعة لا يمكن ان تستمر اذا لم تكن مقبولة في محيطها .ولكن هذا القول يخفي حقيقة واضحة وهي ان الجامعة غير مستعدة لتغيير مواقفها ، اي انها تعتبر ان المسؤولية هي مسؤولية الآخرين في قبولها لا مسؤوليتها هي في ان تجعل من نفسها أكثر فعالية ».

V - شهادات

١ - الحقوق والحريات الديموقراطية

نشهد في لبنان ، منذ فترة ، ظاهرات جديدة هي انتقال المبادرات الشعبية الى القوى الديموقراطية والتقدمية. ومن ضمن هذه الظاهرات المهمّة ظاهرة أخرى لا تقل أهمية عنها ولعلها تفوقها وأعني بها تولي الحركة الطلابية رأس القضايا الأساسية في تيّار التغيير . وما جرى في الجامعة الأميركية في السنة الماضية ويجري اليوم ، وما جرى في الجامعة اللبنانية وما يزال يجري .. إن هذا كله ليس الا دليلاً واضحاً على حيوية هذه الحركة .

وفي هذه السنة برزت أحداث ثلاثة مهمّة تتصل بالحقوق والحريات الديموقراطية : ١ - حق الدراسة الجامعية للجميع ، ٢ - حرية العمل الحزبي ،

٣ – حق الاستاذ الجامعي في حرية الرأي والاتجاه .

فيما يتعلق بالنقطة الأولى ، يجب أن تصبح الجامعة اللبنانية الركن الأساسي الأول في صرح التعليم الجامعي ، مؤكدين على ما يستتبع ذلك ، بالضرورة ، من أبنية وتجهيزات حديثة ، ومن إعادة النظر في البرامج ، وتقوية الهيئة التعليمية . أما بقية الجامعات الأخرى فيجب أن يصبح دورها مكملاً ومسانداً، وعليها أن تتحول من أداة سيطرة إلى أداة خدمة . ويتبع هذا التحول في الأدوار تحول آخر هو عودة الثقافة الوطنية الى حقها الطبيعي في الصدارة وفي السيطرة . وهكذا يحل التفاعل الثقافي محل الاغتراب الثقافي ، ويحل الانفتاح محل التبعية . غير أن هذا لا يتم ولا يثمر الا بتوفير حق الدخول الى الجامعة ، بشكل طبيعي ، لجميع أبناء الشعب ، بحيث تنتفي طبقية التعليم وما يتولد عنها من امتيازات .

وفيما يتعلق بحرية العمل الحزبي ، فاننا : ١ – نعتبر ان حرية التنظيم الحزبي حق طبيعي ، وليس منحة كما تعتبره الدولة . ٢ – نعتبر الجامعة توطئة للحياة العامة ومشتلاً لقادة الغد ، على العكس مما ترى الدولة ، إذ تعتبرها منفى للشبان أو جزيرة معزولة . ٣ – نعتبر أن الحريات الديموقراطية ، وفي طليعتها الحريات الفكرية ، أعلى من القوانين – في حين أن الدولة تعتبرها سلعة تباع وتشرى وتراقب ، شأن أية سلعة عادية .

أما فيما يتعلق أخيراً بحرية الاستاذ الجامعي في الرأي والاتجاه ، فان ذلك أمر طبيعي . والمؤسسات الجامعية الاجنبية القائمة في لبنان والتي تنكر على أساتذتها هذا الحق الطبيعي تعبر عن موقفها الأصلي وهو اعطاء الأولية لثقافتها هي وقضاياها هي ، وليس للثقافة الوطنية وقضايا الثقافة الوطنية . ونجد لذلك مثلاً بارزاً في قضية الاستاذ حليم بركات مع الجامعة الاميركية . ان الاستاذ الجامعي الحيادي ليس إلا ميتاً يتنفس ، والجامعة التي تصر على تحييد أساتذتها، إزاء القضايا الوطنية ، ليست إلا متحفاً للمحنطات . ونحن نريد من الأساتذة أن يكونوا ملتزمين أحياء ، ومن الجامعات أن تكون خلية نابضة بالحياة وشعلة تتوهج بالحركة والتقدم .

جوزيف مغيزل
(الامين العام للحزب الديموقراطي)
(من كلمة ألقاها في مهرجان الدفاع عن الحريات الاكاديمية بالجامعة الاميركية ،في ٢٥/٥/٧٢)

٢ ـ النظرية والتطبيق

عندما طلب مني أحد أعضاء لجنة الدفاع عن الحريات الجامعية أن أتكلم في هذه المناسبة ، ترددت بعض الشيء في بادىء الأمر ، وأخذت تجول في خاطري عدة تساؤلات ، وأقولها هنا بصراحة تامة . كانت هذه التساؤلات تتراوح في مضمونها بين الخوف من الكلام في هذا الموضوع من جهة ، وبين الايمان بعدم جدوى الكلام من جهة أخرى . وفي جميع الحالات ، تبين لي أن المصدر الأساسي لهذا التردد هو فعلا الخوف من إبداء آراء مخالفة لآراء المسؤولين في الجامعة ، وبدا لي واضحاً ان الحرية الموجودة لا تتعدى كثيراً حرية الموافقة والتأييد لآراء هؤلاء وأفعالهم، وأن مصير صاحب الرأي المخالف قد يكون باتخاذ اجراءات انتقامية مختلفة بحقه ، وقد تتراوح هذه الاجراءات بين الطرد أو التهديد بالطرد أو تجميد الراتب أو الضغط المعنوي بشتى أشكاله. ان هذا التردد وهذه التساؤلات والمخاوف من مجرد الكلام في موضوع الحريات ، تعكس الى حد ما الجو المسيطر على هذه الجامعة والذي يصل تقريباً الى درجة الارهاب الفكري . ان مجرد وجود هذا الخوف من إبداء آراء مخالفة لآراء المسؤولين يعني انعدام الحرية الجامعية بمفهومها الحقيقي والكامل ، وذلك يرجع لعدم وجود الضمانات الكافية لحقوق الفرد في إبداء رأيه بحرية .

ان تجاوزي مرحلة التردد هذه الى القبول لا يعني أنني تجاوزت الخوف من النتائج التي يمكن أن يجر اليها هذا الحديث على الصعيد الشخصي ، بل يعني فقط أن كفة مواجهة الخوف بالصراحة لإضعافه رجحت على كفة التهرب من الخوف لتقويته .

ولكن قبل المضي في هذا الموضوع ، أود أن أسجل ملاحظتين :

الملاحظة الأولى ـ هي أن ما سأقوله في موضوع الحريات الجامعية ، مستنداً أحياناً الى بعض المراجع والمنشورات داخل الجامعة وخارجها ، يعكس آرائي الشخصية فقط وبالتالي فهو لا يعبّر عن رأي ادارة هذه الجامعة أو رأي المشرفين عليها أو العاملين فيها .

والملاحظة الثانية ـ هي ان قضية الزميل الاستاذ بركات ، على ما لها من أهمية على الصعيد الشخصي ، ما هي إلا مدخل للموضوع الأساسي ، ألا وهو موضوع الحريات الجامعية .

لنبدأ أولاً ، اذاً ، بتحديد موجز لمفهوم الجامعة وأهدافها ومهامها ، ثم ننتقل بعد ذلك لنرى كيف تنطبق أو تختلف هذه الأهداف والمفاهيم عما هي الحال عليه في هذه المؤسسة .

من المعترف والمسلم به أن المهمات الأساسية لأية جامعة هي تزويد النشء بالمعرفة التي توصل اليها الانسان في شتى الحقول والسعي الدائم للبحث عن المزيد من المعرفة ، وذلك ضمن جو من الحرية والموضوعية والمشاركة بين الطالب والاستاذ . غير أن البحث العلمي والموضوعية لا يمكن أن يعنيا عزل الأساتذة والطلاب عن قضايا المجتمع المصيرية وتقوقعهم في برج عاجي حيث يناقشون ما يجري حولهم وكأنه يدور فوق كوكب آخر . الموضوعية لا يمكن أن تعني اللامبالاة وعدم التحسس بمشاكل المجتمع المختلفة . هناك قضايا وأمور هامة تتطلب من الاستاذ والطالب اتخاذ مواقف مبدئية واضحة ، ومن ضمن هذا الاطار المبدئي يكون الحوار الهادىء

والنقاش البناء والبحث العلمي الموضوعي . الجامعة ليست مؤسسة تهدف فقط الى المحافظة على حضارة الانسان وتقدمه في العلوم المختلفة ، بل يجب أن تكون المكان الملائم لمناقشة وبحث جميع الصراعات التي يعاني منها الانسان في المجتمع . الجامعة لا تهدف فقط الى تحضير الطالب ليلعب دوراً معيناً في التركيب الاقتصادي ـ الاجتماعي الموجود في محيطه ، ذلك لأن البحث عن المعرفة يتطلب أغلب الاحيان من الاستاذ والطالب على حد سواء أن ينتقدا هذا المجتمع بالذات وهذا التركيب الناتج عنه . ان اقتصار دور الجامعة على تهيئة الطالب لكي يصبح عضواً عاملا في المجتمع فحسب هو انتقاص لمفهوم الجامعة ودورها ، ولا يكتمل هذا الدور الا بخلق جو من النقد والبحث العلمي لهذا المجتمع نفسه . وان الفكرة الأساسية لمفهوم الجامعة وأهدافها تتقلص بقدر ما تكبت الحريات ، أينما كانت هذه الحريات ، داخل الجامعة أو خارجها ، لان الحرية كل لا يتجزأ .

ولننتقل الآن من العموميات الى الخصوصيات ، من النظرية الى الواقع والتطبيق ، خصوصاً بما يتعلق بهذه الجامعة . لا بد من القول أولاً ان الجامعة الاميركية في بيروت ، كما يلاحظ من خلال منشوراتها العديدة والمختلفة حول هذا الموضوع ، تؤمن مبدئياً بمفهوم الجامعة وأهدافها التي سبق ذكرها ، ولكن عند التطبيق يختلف الامر ، لدرجة أن الحريات الاكاديمية الموجودة في معظم الجامعات داخل الولايات المتحدة غير موجودة هنا الا بالنذر القليل . والسؤال الآن هو ما هي الضمانات الموجودة في الجامعة لحفظ حقوق الاستاذ والطالب ، في حال مخالفة هذه الحقوق من قبل المسؤولين ؟ بإمكاننا أن نلخص الوضع في الجامعة بالنسبة للحريات الجامعية وحقوق الفرد في نقطتين اثنتين : أولاً ، في ما يتعلق بمخالفة القوانين الموجودة في الجامعة ؛ ثانياً ، في عدم وجود قوانين كافية تضمن للفرد حريته وحقوقه .

فالنقطة الاولى ـ وهي تتعلق بمخالفة ادارة الجامعة للقوانين التي وضعتها هي بنفسها وصادقت عليها وعممتها وطلبت من الجميع اتباعها . وبغض النظر عن مدى صلاحية هذه القوانين ، فالمفروض بادارة الجامعة ، على أقل تقدير ، أن تتبع القوانين التي وضعتها هي ، وهذا ما لم يحدث فعلا في بعض الحالات . فمثلا ، طردت الجامعة اثنين وعشرين طالباً في السنة الماضية في أعقاب الاضراب الطلابي الذي حصل في ربيع سنة ١٩٧١ ، وحصلت عملية الطرد هذه بطريقة مخالفة لقوانين الجامعة نفسها ، والتي كانت تفترض أن يحاكم الطلاب من قبل لجنة خاصة ويعطوا حق الدفاع عن أنفسهم قبل اتخاذ أي قرار بحقهم . والملاحظ هنا أيضاً ان معظم الطلاب المطرودين كانوا من الطلاب المعروفين بميولهم الوطنية والتقدمية ، ولم يطرد أي من الطلاب المعروفين بميولهم المحافظة مع أنهم كانوا قد اشتركوا في الاضراب . هذا التمييز في العقاب من قبل الادارة بين طالب تقدمي وآخر محافظ ، يقودنا الى الاعتقاد بأن المشاركة بالاضراب ليست هي المخالفة الاساسية بنظر الادارة . ولكن الميول الوطنية والتقدمية هي التي يجب أن تعاقب .

أما النقطة الثانية ـ وهي في رأيي الاهم ، هي في عدم وجود قوانين كافية تضمن حقوق الاستاذ والطالب في ابداء الرأي المخالف بدون خوف وبكل حرية . مثلا ، استاذ لم يجددعقده ، ويريد العدل والانصاف ، فأين يمكنه أن يذهب ؟ ان قوانين الجامعة الحالية ، تعطي الاستاذ الحق بأن يبحث أمره مع الذين يشكو منهم ، وبذلك يكون الخصم هو الحكم . فينتقل أمر

الاستاذ من لجنة الى أخرى حتى تضيع قضيته في بحر من اللجان ، ومن ثم يقال له ان عقده لن يجدد بدون أن يعرف لماذا ؟ ونفس الشيء تقريباً ينطبق على الطالب اذا هضمت حقوقه . مثلا ، طالب يريد الانتساب الى دائرة ما في الجامعة ، وهو يتمتع بكل الصفات المطلوبة حسب قوانين الجامعة ، ويرفض طلبه ، فماذا باستطاعته أن يفعل ؟ كل ما يمكنه ان يفعل هو أن يقدم طلباً ثانياً لنفس الدائرة التي رفضته سابقاً ، وأخيراً يقال له إن طلبه مرفوض ولا يعرف الطالب لماذا ؟

إذاً ، والحالة كما وصفنا ، ما هو المطلوب وما هو الحل ؟ ان الحرية ، كالثورة ، لا تعطى من فوق . ولذلك ، فان قسماً من اللوم يقع على كاهل الاساتذة والطلاب في تقبلهم للوضع الحالي وفي يأسهم من امكانية تحسينه . فالتغيير المطلوب لصالح الجامعة نفسها من اساتذة وطلاب ولصالح المجتمع ، هو في خلق جو من الحرية الاكاديمية التي بدونها لا يكون هناك جامعة بالمعنى الصحيح . ومن ضمن الحلول التي يمكن أن تقودنا الى هذا التغيير المطلوب ، هي أولاً : بناء اتحاد عام للطلبة يكون التنظيم الديموقراطي الناطق باسم الحركة الطلابية والمدافع عن حقوقها ومصالحها ،وثانياً : انشاء رابطة جديدة للاساتذة الجامعيين أو تطوير رابطة الاساتذة الجامعيين الحالية لتصبح قادرة على الدفاع عن مصالح الاساتذة وحقوقهم ، ولا تكون لها ارتباطات أو قيود تشل من فعاليتها .

وفي الختام ، يجب التأكيد على ان الحرية الاكاديمية هي العنصر الاساسي لاي جامعة ، فبدون هذه الحرية ، لا يحق لنا شرف الادعاء بأننا طلاب علم ومعرفة ، وبدون الحرية الاكاديمية ، لا يحق لنا شرف الادعاء بأننا «جامعة» . والحرية الاكاديمية لا تكون بالكلام عنها بل بالممارسة اليومية لها ، من خلال ضمانات كافية لحفظ حقوق الاستاذ والطالب بابداء آرائها بكل حرية وبدون خوف ولا تردد .

لطفي دياب
(استاذ في الجامعة الاميركية)

(نص كلمة ألقاها في مهرجان الدفاع عن الحريات الاكاديمية)

٣ ـ قضية الثقافة الوطنية

لا اخالكم تتوقعون مني ان اشكر لكم اهتمامكم بهذه القضية ، فما نحن بصدده ليس قضية شخص بالذات بقدر ما هو قضية تتعلق في صميمها بحرية الانسان ان يكون له وجهة نظر بمصير مجتمعه وان يعمل على تغيير هذا المجتمع.

بعد الخامس من حزيران طرحت على نفسي السؤال التالي : لماذا لا يتمكن المجتمع العربي من مواجهة التحديات الكبرى وتجاوزها ؟

منذ ان طرحت على نفسي هذا السؤال ، بدأ صراعي مع تراثي الفكري وبدأت اهتماماتي العلمية تتبدل . وصلت الى قناعة بانني يجب ان اضع علمي في خدمة مجتمعي ، وانه ليس هناك من علم حيادي موضوعي فاما اننا نخدم الطبقة الحاكمة والوضع القائم ، وأما اننا نخدم الشعب والمستقبل .

ومنذ ذلك الحين بدأت اكتشف ان الجامعة الاميركية مؤسسة لا ديموقراطية ومعادية لقضية التغيير في المجتمع العربي . وتبرز لاديموقراطيتها ومعاداتها خاصة عندما تنشط الحركة الوطنية وترتفع الاصوات التي تنادي بالتغيير . عند ذلك تشعر انها مهددة فتتشدد في علاقاتها مع الاساتذة والطلاب وتفقد مظاهر المرونة والحياد . وقد يبدو للبعض ان تشددها دليل على انها تتكلم من مركز قوة ،ولكنها في الواقع تلجأ الى وسائل تعسفية لخوفها ولشعورها بانها مهددة .

ان أوضاع الجامعة القائمة تحيل غالبية الاساتذة الى موظفين عاجزين متزلفين مدجنين لا يملكون وجهة نظر (طبعاً غير وجهة النظر المقبولة لدى الادارة) واذا كانت لهم وجهة نظر مخالفة لا يملكون الجرأة للتعبير عنها . بدون الحرية الاكاديمية يفقد الاستاذ أهم وأعمق ما ينطوي عليه دوره ويتحول من محاور وخلاق وباحث عن الحقيقة الى متلقن ومقلد وباحث عن تحسين أوضاعه الفردية. من هنا نشوء ازدواجية واضحة بين اساتذة الجامعة الاميركية : ما يقولونه في المجالس الخاصة وبين اصدقائهم مغاير او معاكس لما يقولونه في الاجتماعات العامة وفي حضور الاداريين . في الواقع انه ليس من حوار في حضور المسؤولين الاداريين . لذلك لا يلعبون اي دور ــ غير الدور الذي تريده لهم الادارة ــ في الأزمات وعندما تطرح قضية ما .ان قضية استغناء الجامعة عن خدمات استاذ لاسباب غير اكاديمية ــ كما جرى بالنسبة لي ــ هي قضية الاساتذة قبل اية فئة أخرى . وقد توجهت شخصياً الى الاساتذة قبل غيرهم ،فعبر لي عدد كبير منهم عن اشمئزازهم من تصرف الجامعة التعسفي ، ولكنهم لم يتخذوا اي موقف علني ،ففي الوقت الذي يتحرك الطلاب والمثقفون خارج الجامعة والأحزاب والصحافة ، يتصرف الاساتذة وكأن ليس من قضية البتة .

ان من ليس له وجهة نظر لا يقدر معنى الحرية الأكاديمية ، ومن ليس له اهتمامات وطنية لا يهمه ان الجامعة الأميركية لا تظهر احتراماً للرأي العام العربي.لا يهمه انها تضطهد الاساتذة العرب الذين يهتمون بقضايا بلادهم في بلادهم.

ايها الاصدقاء ،ايها الصديقات

اريد ان أؤكد لكم انني لا اقصد الاساءة الى اي فرد كفرد ولا الى اي فئة كفئة . ان ما أتعرض اليه هو قضية الانسان وتحول الانسان من كائن مسحوق خائف مستعبد مستغل عاجز مقلد صامت منفعل بالاحداث والمؤسسات والأنظمة الى كائن حر واثق بنفسه خلاق فاعل بمحيطه مسيطر على مصيره ، ما أريد ان أؤكد عليه هو قضية الانسان ـ قضية حريته وكرامته .

ان ما أؤكد عليه هو انسانية الانسان في وجه قوى عديدة تعمل على تحويله الى آلة وسلعة .

ما يجب ان نؤكد عليه جميعاً هو قضية الثقافة الوطنية التي تحترم الانسان وتحترم حاجات الوطن الحقيقية . لا يمكننا ان نستمر في الاعتماد على الجامعات الاجنبية ، وخاصة بعد ان ارتبطت الجامعة الاميركية منذ ١٩٥١ على الاقل بالحكومة الاميركية ووقعت اتفاقية النقطة الرابعة معها في ذلك الحين ، وبذلك يقول الرئيس بنروز « بفضل الاتفاقية التي وقعتها الجامعة وحكومة الولايات المتحدة في نيسان ١٩٥١ ، اصبحت الجامعة قادرة على تأمين برامج تدريبية للمنطقة » (التقرير السنوي ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ ، ص ٥٠) اي منطقة يقصد بنروز ؟ من يحدد هذه المنطقة ؟ طبعاً ، الحكومة الأميركية هي التي حددت المنطقة فاصبحت تضم فيما تضم قبرص والأردن وايران وتركيا وباكستان وغيرها وليس سوريا والعراق ومصر والسودان .

اصدقائي ، صديقاتي

المطلوب ان يكون لنا موقف عملي وألا نكتفي بالموقف الكلامي . حتى الآن ، كان موقفنا كلامياً ، ومما يدعو للحذر ويلفت الاهتمام ان هناك محاولة لاحتواء الواجهة الرسمية للطلاب في الجهاز الاداري الحاكم في الجامعة . أقول ذلك حرصاً على الحركة الطلابية وخوفاً من انزلاقها في هذا الاتجاه مما يحد من قدرتها على التغيير ويحد من مدى تأييدها للتحرك الوطني .

اصدقائي ، صديقاتي

اذا كان يهمكم كيف أشعر بعد استغناء الجامعة عن خدماتي ، أريد أن أؤكد لكم انني فخور بنفسي وبكم .

حليم بركات

(كلمة ألقيت في مهرجان الدفاع عن الحريات الاكاديمية)

٤ – حول وثائق الجامعة الاميركية:

كانت قضية حليم بركات مناسبة لاثارة اسئلة كثيرة حول الدور الذي تقوم به الجامعة الاميركية في لبنان والبلاد العربية . وقد نشرت مجلة «البلاغ» وثائق سرية (العدد ٣٠ ، ٢٩ ايار ١٩٧٢) ألقت أضواء جديدة على جوانب من النشاط السياسي الذي تقوم به . وفي العدد ٢٥ ، تاريخ ٢٦ حزيران ١٩٧٣ ، أقامت ندوة حول هذه الوثائق شارك فيها: منح الصلح ، صادق العظم ، حليم بركات ، وأعدها أسامة غزي وجورج الراسي ؛ وفيما يلي نقدم مقاطع مما قاله منح الصلح وصادق العظم .

منح الصلح : المنزلق

اعتقد ان هذه الوثائق تدخل جميعاً تحت عنوان المنزلق الذي تنزلقه الجامعة الاميركية بتحولها تدريجيا وأكثر فأكثر ، الى مكان يلعب فيه التأثير الحكومي الاميركي ، والمصالح الأميركية الاستثمارية في المنطقة ، دوراً تقريرياً وليس مجرد دور تأثير . أقول المنزلق ، وقد اخذت هذه الكلمة عن عمد لانني اعتقد ان الجامعة الاميركية نشأت بالأصل في فترة سابقة للوجود الامبريالي الاميركي . وهي من غير شك مؤسسة قائمة بذاتها من حيث الوجود . ولكنها تتحول وتتجه بقوة نحو خسارة اي وجه من وجوه الاستقلالية .

ويتمثل هذا الاتجاه باشياء كثيرة منها وجود أشخاص مشبوهين في نطاق التعليم والادارة ،ومنها نوعية البرامج ، ومنها القيود والحدود في قبول الطلاب. على ان المهم هو هذه الظاهرة التي تتضخم باستمرار ، ظاهرة تغير طبيعة الجامعة الاميركية من مؤسسة نشأت خارج النفوذ الحكومي الاميركي وخارج نفوذ الشركات الاميركية الاستثمارية القائمة بالمنطقة ، الى مؤسسة متأثرة بشكل جذري بتطور علاقة اميركا بالمنطقة .

لقد قلت في السابق واعيد اليوم ، ان هناك فرقاً بين النفوذين الثقافيين الأجنبيين الموجودين حالياً في لبنان ، وهما المؤسسات الفرنسية والجامعة الاميركية . الفرق قائم في ان مؤسسات التعليم الفرنسي نشأت في ظل الانتداب

الفرنسي ، وزال الانتداب ، وتحسنت سياسة فرنسا نسبياً نحو البلاد العربية ، ولكن مؤسسات التعليم الفرنسي لم تلحق بهذا التطور الذي حصل في فرنسا ، وبقيت تحمل العقلية الانتدابية الماضية . بينما الجامعة الاميركية هي في الطريق المعاكس . هى مؤسسة نشأت في فترة لم تكن تلعب فيها اميركا دوراً استعمارياً في المنطقة ، وبالتالي فهي مؤسسة غير استعمارية من حيث نشأتها . ولكن تطور السياسة الاميركية يضغط في سبيل تحويلها الى مجرد انتداب للسياسة الاميركية . وبكلمة ، فان فرنسا أفضل من مؤسساتها التعليمية الموجودة في بلادنا ، بينما الجامعة الاميركية أقل سوءاً حتى الآن من السياسة الاميركية . لذلك ، في معرض تحديد الموقف من هذين النفوذين الثقافيين ، لا بد من جعل الهدف الاول بالنسبة للمؤسسات الفرنسية دفعها الى ان تتخذ على الاقل المواقع التي تتخذها الحكومة الفرنسية . بينما الهدف الأول بالنسبة للجامعة الاميركية هو التصدي الجريء والواضح والموضوعي والممتد الى جميع قطاعات الحركة الوطنية ضد اتجاه الجامعة لان تصبح أكثر فأكثر تحت رحمة الحكومة الاميركية والمؤسسات الاستثمارية الموجودة في المنطقة . وأهمية هذه الوثائق هي انها جزء من هذا التصدي .

صادق العظم : التبشير ـ الاستعمار

في الحقيقة ، ان بعض ما استشففته من كلام الاستاذ منح ، مع الموافقة على بعض التفاصيل التي أوردها ، انه يجب انقاذ الجامعة من براثن الحكومة الاميركية والشركات الاستثمارية ! وهو قد تعمد استعمال كلمة « المنزلق » وكأن الجامعة من غير وعي او نصف وعي ، تنجر في هذه المتاهة وواجبنا ان ننبهها لان هذا الطريق يؤدي الى تدميرها ! انا غير مقتنع بهذا التحليل . فاذا رصدنا تاريخ الجامعة ، فلا يكفي ان يقال ان الجامعة نشأت في فترة لم يكن فيها دور للاستعمار الأميركي . فهذا لا يعني ان الجامعة كانت منزهة عن كل غرض استعماري .

هذه المؤسسات لا ترتبط مباشرة بالاستعمار الموجود في حينها ، ثم هنالك واقع الامتداد الاستعماري على نطاق عالمي . والجامعة جزء من ظاهرة التبشير ، وهذه الظاهرة واضحة الارتباط بالاستعمار بشكل عام ، بغض النظر عن الشكل . والاميركيون كان لهم في تلك الفترة مصالح اقتصادية وتجارية عززوها بمؤسسات

ثقافية . وكانوا راضين بقيام دولة اخرى حليفة (بريطانيا) بالاشراف على هذه المؤسسات .

هذا يعني انه طالما ان المصالح الاميركية في المنطقة كانت هي نفسها غير ذات طابع حكومي رسمي ، وانما ذات طابع تجاري تابع للجهد الفردي ، والمؤسسات مستقلة عن الحكومة ، فقد كانت الجامعة قادرة على عرض نفسها بهذا الشكل (بمساعدة الاصدقاء) ، ولذا فان المسألة ليست عرضية او «منزلقا» بل هناك تطور تاريخي مع صعود المصالح الاميركية في المنطقة ، وحلول اميركا محل الاستعمار الكلاسيكي فيها ، وتصبح الجامعة خاضعة بالتدريج لنفوذ الشركات والسياسة الاميركية . هذا مسار تاريخي حتمي ، طالما ان الاستعمار الاميركي يصعد في المنطقة ، والجامعة ستتحول بطبيعة الحال في هذا الاتجاه .

والمرحلة الثانية كانت تثبيت الجامعة نفسها كمؤسسة مستقلة حين دخل الاستعمار الأميركي في صراع مع الاستعمار القديم (كموقف ايزنهاور من تأميم السويس) . فالجامعة في مرحلة الصراع مع الاستعمار القديم تثبت هذه الصورة ، وقدمت ثقافة ذات طابع ليبرالي متقدم على الثقافة اليسوعية . ومن هنا اكتسبت طابعها المتقدم حينها ، ولكن هذه مسألة مرحلية وكان لا بد من ان تسير الجامعة في اتجاه الحكومة الأميركية .

تعليق أخير بالنسبة لما قاله الاستاذ منح ، وهو المطالبة بالضغط على المؤسسات الثقافية الفرنسية لتكون أكثر انسجاماً مع السياسة الفرنسية . أنا لا أناقش سياسة فرنسا الأخيرة في انها أفضل من سياسة المؤسسات المتحجرة التي لم تلحق حتى بالاصلاح في فرنسا ، فحتى الحكومة الفرنسية في تقديري لا تريد حقاً تبديل المؤسسات الفرنسية . اذ لا شيء يمنع الحكومة الفرنسية من أن تلعب على عدة مستويات : سياسة صديقة للعرب لا تلغي بناء قاعدة ثقافية ذات نفوذ منذ مئة سنة في لبنان ، فهي في النهاية تخرج أناساً لهم ولاء شديد لها، ويمسكون بحصة من مناصب الدولة .